(السنة الثالثة عشرة)

العدد الرابع أكتوبر – ديسمبر ١٩٤٧

صحيفة دار العلوم

صدر في ١٩٣٤ م

تصدرها جماعة دار العلوم

كل ثلاثة أشهر

المدير محمد نجيب حنانه

رئيس التحرير محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى

وكيل كلية دار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشاً
خارج القطر	٣٠ قرشاً
ثمن العـــدد	٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج

إِنَّ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَيْنَ تَحْيَا، لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَتَحْيَا فِي دَارِ الْعُلُومِ"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

النقـــد فى الأدب العربى

٣ – فى العصر الأموى

– ب –

للأستاذ السباعى بيومى
وكيل كلية دار العلوم

على ماقدمنا فى العدد السابق ، سار النقد الأدبى على النهج الذى نهجه عبد الملك بن مروان فى مجالسه ، فشاع الحوار الأدبى بين الناس ، ووجدت ملكة النقد فى نفوسهم ، وانتشرت مجامع الأدب من دور الخلفاء إلى دور الولاة وإلى المساجد والأسواق ، وبخاصة مربد البصرة الذى حل فى الاسلام محل عكاظ فى الجاهلية وزاد ، فكانت تتألف فيه حلقات المناشدة والمناقدة، وتعقد به مجالس الأدب والرواية ، حيث يقصده الشعراء من كل فج ومع كل شاعر راويته وأنصاره، فيشتد التنافس بين هؤلاء وهؤلاء ، وحسبك ما كان بين الفرزدق وجرير والأخطل ومن دب الخلاف بينهم بسببهما من الشعراء والأدباء ، وهذا بعض ما كان فى تلك النواحى من نقد : –

١ – روى الجاحظ أن فتى انبرى للأخطل يقول له ،

أردت أن تمدح سماكا الأسدى فهجوته فقلت :

نعم المجير سماك من بنى أسد   بالطف إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وأنبئوه   فاليوم طير عن أثوابه الشرر

فما أبعدت صفة القين عنه ،

وأردت أن تهجو سويد بن ميمون فمدحته فقلت

وماجذع سوء خرب السوس جوفه لما حملته وائل بمطيق

فأعطيته الرياسة على وائل وقدره دون ذلك

وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلى وأن تصغر من شأنه وتضع منه فقلت :

وسود حاتما أن ليس فيها اذا ما أوقد النيران نار

فأعطيته السؤدد فى الجزيرة وأهلها ومنعته مالا يضره .

٢ — واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج فقال من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتى فهذه الخلعة له .

فقال الفرزدق :

فمن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته الا ضعيف العزائم

وقال جرير :

فمن يأمن الحجاج أما عقابه فمر وأما عقده فوثيق

فقال الحجاج للفرزدق ما عملت شيئا إن الطير تنفر من الصبى والخشبة ودفع بالخلعة إلى جرير

٣ — وشفع عطية بن جعال لبنى غدانة عند جرير فقبل شفاعته وقال :

أبنى غدانة إننى حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم مابين ألأم آنف وسبال

فقال عطية ما أسرع مارجع أخى فى عطيته :

ومثل ذلك قول يزيد بن مالك العامرى حيث رجع فى بيته الثانى عما ذكره فى الأول وهو يقول .

أكف الجهل عن حلماء قومى وأعرض عن كلام الجاهلينا

إذا رجل تعرض مستخفا لنا بالجهل أو شك أن يحينا

وكذلك بيت عبدالرحمن بن عبيد الله الذى نقض بعجزه ماقرر من مسلواة فى صدره وهو :

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيسر

٤ — وروى أن عمر بن أبى ربيعة والأحوص بن محمد ونصيبا ، مروا

بكثير عزة ، فأقبل على عمر فقال يا أخا قريش والله لقد قلت فأصبت فى كثير من شعرك ولـكن خبرنى عن قولك .

قالت لها أختها تداعبها لتفسدن الطواف فى عمر
قومى تصدى له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تشتد فى أثرى

والله لو قلت هذا فى هرة أهلك ماعدا ، أردت أن تنسب بهـا فنسبت بنفسك أهكذا يقال للمرأة ، إنما توصف بالخفر وأنها مطلوبة ممتنعة ، هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولـكن ذا الهوى إذا لم يزر لابد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر وإنى إلى معروفهـا لفقير

فامتلأ الأحوص سرورا ، فأقبل عليه فقال يا أحوص خبرنى عن قولك

فان تصلى أصلك وإن تعودى لهجر بعـد وصلك لا أبالى

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت، هلا قلت مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

فانتفخ نصيب فأقبل عليه فقال له ولـكن خبرنى عن قولك يا أسود :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

كأنك اغتممت ألا يفعل بها بعدك — ولا يكنى — فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة ، والفرقة لعبة على خطوط فى التراب واستواؤها انقضاؤها .

٥ — وحكى الزبيريون أن مدنية عرضت لـكثير فقالت له: أأنت القائل

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج النـــدى جثجاثها وعرارها
بمنخرق من بطن واد كأنما تلاقت به عطارة وتجـــارها
بأطيب من أردان عزة موهنـا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم فقالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بالمنــدل الرطب أما كانت تطيب ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم ترأنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

٦ — وبما هو أقبح من قول كثير هذا قوله هو فى عزة أيضا .

ألا ليتنا ياعز من غير ريبة بعيدان نرعى فى حلال ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يقــل على حسنها جرباء تعدى وأجرب
نكون لذى مال كثير مغفل فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
إذا ما وردنا منهلا هاج أهله إلينا فلا تنفك نرمى ونضرب

فيروى أن عزة قالت له حين سمعت هذا ، لقد أردت بى الشقاء الطويل .

٧ — والغفلة كثيرة فى شعر كثير ، فمن ذلك قوله لعبد العزيز بن مروان

وما زالت رقاك تسـل ضغنى وتخرج من مــكامنها ضبابى
ويرقينى لك الراقون حــتى أجابت حيــة تحت التراب

فجعله يتودد إليه ،وكذلك قوله :

وإن أمير المؤمنين برفقــه غزا كامنات الود منى فنالها

ومثله قول الأخطل :

وقد جعل الله الخلافة فيهم لأبلج لاعارى الخوان ولا جدب

وأقبح من قول الأخطل هذا قول الأعشى فى اليحموم فرس الملك .

ويأمر لليحموم كل عشية بقت وتعليق فقد كاد يسنق

٨ — وبما هو أشنع من قول كثير فى عزة قول رجل فى جارية غنته فأثرت فى قلبه فقال وكانت تدعى سلامة .

سلام ليت لسانا تنطقين به قبل الذى نالنى من حده قطعا

وكذلك قول الآخر :

من حبها أتمنى أن يلاقينى من نحو بلدتها ناع فينعاها
لكى يكون فراق لا لقاء له وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ومن هذا الباب قول عبد بنى الحسحاس فى الأبل مفرقات الاحباب .

وراهن ربى مثل ما قد ورينى وأحمى على أكبادهن المكاويا

وكذلك قول الشماخ فى ناقته .

إذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

وكل ذلك من سوء الجزاء الذى لم يقبله رسول الله ﷺ من المرأة التى نذرت نحر ناقته إذا بلغتها إياه فقد قال لها لبئس ما تجزينها .

٩ ـ وأنشد الكميت نصيبا :

كأن الغطامط فى غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال نصيب لم تهج أسلم غفارا قط فاستحيا الكميت وسكت .

١٠ ـ وقال ابن أبى وفرة ، قلت لذى الرمة ماعلمت أحداً من الناس أظلع الرءوس غيرك فى قولك .

إذا انجابت الظلماء أضحت رءوسها عليهن من جهد الكرى وهى ظلع

١١ ـ وسمع سلم قول رؤبة فى صفة قوائم الفرس «يهوين شتى ويقعن معا» فقال له أخطأت جعلته مقيدا فقال رؤبة « أدننى من ذنب البعير » يريد أن يقول، لست أبصر الخيل وإنما أنا بصير بالابل .

ولقد كان من شأن هذا الروح الأدبى الذى عمل عبد الملك على نشره فى النقد ،فتعدى مجلسه إلى تلك المجالس الأخرى التى سمعت عنها ما سمعت ، أن يتعدى أيضا الشعر الاسلامى إلى الجاهلى ، لما كان من بعث العصبيات التى ربطت بينهما فأحيت هذا بذاك . وهذى بعض أمثلة لما وجه من رجال هذا العصر الأموى إلى الجاهليين أنفسهم حتى الفحول منهم .

١ ـ أخذوا على امرىء القيس قوله فى مخاطبة الربوع .

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا كأنى أنادى إذ أكلم أخرسا

لأنه شبه فيه حجرا بحجر ، وقالوا إن الصحيح فى هذا قول كثير فى امرأة .

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى بها العصم زلت

٢ ـ وأخذوا عليه أيضا قوله فى بغضة النساء للشيب كما يبغضن قلة المال

أراهن لايحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

فإن البغضة منهن واقعة على الشيب ولو لم يصحبه تقويس ، وقالوا إن الصواب هو قول علقمة .

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له فى ودهن نصيب

٣ ـ وأخذوا على النابغة قوله فى الحديث عن الناقة .

تحيد عن أستن سود أسافله مشى الإماء الغوادى تحمل الحزما

لأن حمل الأماء للحزم يكون منهن فى الرواح لافى الغدو .

٤ ـ وأخذوا عليه أيضا قوله فى عيينة بن حصن .

ألكنى ياعيين إليك قولا ستحمله الرواة إليك عنى

لأنه لامعنى للشطر الثانى بعد الشطر الأول

٥ ـ وأخذوا على زهير قوله يصف الضفادع

يخرجن من شربات ماؤها ضحل على الجذوع يخفن الغم والغرقا

لأن الضفدع لايخرج من الماء خوف الغرق .

٦ ـ وأخذوا على الأعشى قوله

ومارابها من ريبة غير أنها رأت لمتى شابت وشابت لداتيا

وقــوله

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

وقــوله

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلا بأم خليد حبل من تصل

أأن رأت رجلا أعشى أضر به ريب الزمان ودهر خاتل خبل

فإن لاريب فى بغض النساء هذه الصفات وإذن لاوجه لعجبه .

٧ ـ وأخذوا على المرقش قوله فى الصحو .

صحا قلبه عنها على أن ذكرة إذا خطرت دارت به الأرض قائما

لان عجز البيت سلب ماقرره صدره ، وقالوا إن الجيد فى الصحو والسلو قول أوس بن حجر ،

صحا قلبه من سكرة وتأملا وكان بذكرى أم عمرو موكلا

إلى غير ذلك مما نقد فيه الاسلاميون الأدب الجاهلى مع الاسلامى .

هذا طرف من فضل عبد الملك المباشر وغير المباشر على نقد الأدب جاهليه وإسلاميه، وقد سار أبناؤه من بعده فى ذلك سيرته .

١ ـ كان الوليد يدع الشعراء فى مجلسه يستمع بعضهم لبعض وينقد بعضهم بعضا،

قال الهيثم بن عدى، دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه فقال ياأمير المؤمنين لقد رأيت ببابك جماعة من الشعراء لاأحسبهم اجتمعوا بباب أحد من الخلفاء فلو أذنت لهم حتى ينشدوك ، فاذن لهم وكان فيهم الفرردق وجرير والاخطل والاشهب بن رميلة ثم البعيث ولكن لم يأذن له، فقال له المستأذن لوأذنت له يا أمير المؤمنين ، قال إنه ليس كهؤلاء إنما قال من الشعر يسيرا ، قال والله ياأمير المؤمنين إنه لشاعر فأذن له ، فلما مثل بين يديه،قال ياأمير المؤمنين إن هؤلاء ومن ببابك قد ظنوا أنك أذنت لهم دونى لفضل لهم على ،قال أو لست تعلم ذلك،قال لا والله ولا علمه الله لى قال فأنشدنى من شعرك ، قال أما والله لا أفعل حتى أنشدك من شعر كل رجل منهم مايفضحه ، وأقبل على الفرزدق فقال ، قال هذا الشيخ الاحمق لعبد بنى كليب

بأى رشاء ياجرير وماتح تدليت فى حومات تلك العمائم

فجعله يتدلى عليه وعلى قومه من عل وإنما يأتيه من تحت لو كان يفعل . وأقبل على جرير فقال ، وقال هذا كلب بنى كليب .

لقومى أحمى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع
وأوثق عند المردفات عشية لحاقا إذا ماجرد السيف قاطع

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه إلا عشية وقد نكحن وفضحن .

وأقبل على الاخطل فقال ، وقال هذا النصرانى ومدح رجلا يسمى قينا فهجاه ولم يشعر .

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فاليوم طير عن أثوابه الشرر

ثم أقبل على ابن رميلة فقال ، وقال هذا وقد دفع أخاه سلبيا فقتل

مددنا وكانت ضلة من حلومنا　　بثدى إلى أولاد ضمرة أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعل بأخيه مافعل ، فجعل الوليد بعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه ، وقال له قد كشفت عن مساوى القوم فأنشدنى من شعرك فأنشده فاستحسن قوله ووصله وأجزل له .

ودخل عليه ذات مرة جرير وعنده ابن الرقاع ينشده القصيدة التى يقول فيها

غلب المساميح الوليد سماحة　　وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات فيها ، حتى إذا ما أنشد فى وصف الظبية « تزجى أغن كأن إبرة روقه » قلت فى نفسى والله لن يقدر أن يقول أو يشبه فلما قال « قلم أصاب من الدواة مدادها » ماقدرت حسدا أن أقيم فانصرفت

٢ ـ وكذلك كان سليمان ـ ذكروا أن الفرزدق ونصيبا حضرا عنده فقال للفرزدق أنشدنى مقدرا أن يمدحه فأنشده

وركب كأن الريح تطلب عندهم　　لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل وهى تلفهم　　إلى شعب الأكوار ذات الحقائب

إذا آنسوا نارا يقولون ليتها　　وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض عنه مغضبا لفخره فى حضرته ، فقال نصيب ياأمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها مالعله لايتضع عنها قال هات فأنشده

أقول لركب قافلين رأيتهم　　قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبرونى عن سليمان إننى　　لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله　　ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه قال هو أشعر أهل جلدته ، وكان نصيب أسود ، فقال سليمان ياغلام أعط نصيبا خمسمائة دينار وألحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالا　　وشر الشعر ماقال العبيد

ومن هذا النحو من النقد ماذكر من أن الحجاج بن يوسف حين عهد إلى يزيد بن الحكم الثقفى بولاية فارس وأتاه يودعه فقال له أنشدنى مقدرا مدحه فأنشد مفتخرا .

وأبى الذى سلب ابن كسرى راية   بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

استرد العهد منه وقال للحاجب إذا أتاك به فقل له أورثك أبوك مثل هذا فلما قال له الحاجب ذلك قال قل للحجاج .

وورثت جدى مجده وفعاله   وورثت جدك أعترا بالطائف

٣ — ومن بعد الوليد وسليمان كان أخوهما يزيد مثلهما عناية بالأدب وتقديرا للأدباء ، فقد روى أنه رد الأحوص من منفاه ببيت من الشعر قاله فيه وسمعه من مغنية وهو

كريم قريش حين ينسب والذى   أقرت له بالملك كهلا وأمردا

٤ — وأخيرا جاء أخوهم هشام الذى ملك نحو عشرين سنة كما ملك أبوه، فكان غرامه بالأدب شديدا ونقده له دقيقا ، وكان يأرق فى جوف الليل فيطلب من الأعراب من يحدثه فإذا أجاد كانت سعادته . أحضر له الخادم ذات ليلة أبا النجم الراجز وكان غاضبا عليه منذ أن أنشده فى أرجوزة يمدحه بها قوله « والشمس فى الأفق كعين الأحول » فانتقده عليه إذ كان أحول ولم يراع أبو النجم ذلك ، ومع هذا قبله فى تلك الليلة لشدة شغفه بالأدب وسماره، فلما دخل سأله ماعندك من الولد ، قال ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين وبنى يقال له شيبان، فسأله عما أوصاهما به عند الزفاف فقال قلت للأولى واسمها برة

أوصيت من برة قلبا حرا   بالكلب خيرا والحماة شرا
لاتسأمى ضربا لها وجرا   حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا   والحى عميهم بشر طرا

فضحك هشام وقال فما قلت للأخرى قال قلت .

سبى الحماة وابهتى عليها   وإن دنت فازدلفى إليها
وأوجعى بالفهر ركبتيها   ومرفقيها واضربى جنبيها
وظاهرى النذر لها عليها   لاتخبرى الدهر بذاك ابنيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه وقال فما حال الأخرى ، قال درجت

بين بيوت الحى ونفعتنا فى الرسالة والحاجة ، قال فما قلت فيهـــا قال قلت واسمها ظلامة :

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان وليس فى الرجلين إلا خيطان
فهى التى يذعر منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وقال للخصى ما بقى من نفقتك قال ثلثمائة دينار، قال ادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجل ظلامة مكان الخيطين. وهشام هذا هو الذى كتب الى عامله على العراق أن يدفع إلى حماد الراوية خمسمائة دينار ويرحله اليه بدمشق على جمل مهرى، ولما وصله بعد اثنتى عشرة ليلة استدناه وقال له بعثت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر قائله ، قال حماد فقلت وما هو يا أمير المؤمنين قال :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق

فقلت هذا يقوله عدى بن زيد فى قصيدة ، قال أنشدنيها فأنشدته إياها فطرب ثم أجزل من عطائى وأعادنى إلى أهلى .

وبعد فلا عجب بعد هذا كله ، أن يروج الأدب ويكثر الأدباء ، ويجود النقد ويجيد النقاد ، وأن تخلق الرواية وينتشر الرواة ، فيتم بذلك وضع الأساس الفطرى السليم للنقد أمام النقاد ، ومن ثم يسلمه هؤلاء فى أخريات العهـــد الأموى صالحا للبناء ، على أيدى من تخطى هذا العهد من إخوانهم إلى الصدر العباسى ، ومن وجـــد من خلفائهم مع هؤلاء الاخوان فى ذلك الصدر ، ثم يطرد السمو بالنقد على توالى العهود العباسية الطوال ، حتى يغدو بناؤه صرحا ثابت الأصل فى الأرض باسق الفرع فى السماء .

السباعى بيومى

ثقافة الخلفاء الفاطميين والأدب الفاطمى

للأستاذ عبد العزيز مزروع

المدرس بالمدارس الثانوية الأميرية

على الرغم من تلك الظروف الجامحة الراجحة التى عصفت بالثقافة الفاطمية، نلمح فى تضاعيف الآداب العربية نماذج من الآداب المصرية فى أيام الفاطميين، تدل على ما كان فى القاهرة والفسطاط من حياة وثابة، وشعر رائع، ونثر ناضج، وبحوث عميقة منتجة فى أنواع العلوم والفنون، وعلماء كانوا يضربون فى أنواع الثقافة بأوفر سهم، فلا نجد علماء بغداد ودمشق وشيراز وقرطبة إلا الاعتراف بهم، والترحيب بثقافتهم، والحذر من إثارتهم. فما هى العوامل الفعالة التى أدت إلى هذه النتائج ؟

مما لا شك فيه أن ثقافة الخلفاء الفاطميين أكبر هذه العوامل، لأن الناس على دين ملوكهم، والخلفاء العبيديون وأمراؤهم كانوا من ذؤابة العرب، وإن لم يكن فى النسب إجماع على ذلك، ففى الثقافة، والمولد، والمنشأ، والمربى مايؤيد ذلك. لهذا نجد للكثير منهم أقداما راسخة فى العربية، وبصرا بالأدب، بل نجد منهم من كان يرسل الشعر جيداً جزلا نبيلا فى روعة ووقار، فيذكرنا بامرىء القيس، ويزيد بن معاوية وابن المعتز، وأبى فراس، وسأزجى بين يدى إخوتى نماذج تؤيد ما ذهبت إليه.

من أدب المعز : حدثتنا كتب الأدب أن « الخليفة المعز » أول خلفائهم المصريين كان يتقن فنونا من العلم والأدب، وأن له شعرا يمتلك القلوب بروعته، وآية ذلك قوله فى الغزل ـ وتدل على أن له قلبا كان يخفق بذكر الغانيات، وأنه كان يستحسن الجناس. وهى من مجزوء الكامل :

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر فى المعاجر(١)
أمضى وأقضى فى النفو س من الخناجر فى الحناجر
ولقد تعبت ببينكم تعب المهاجر فى الهواجر(٢)

وذكر الثعالبي فى (يتيمة الدهر) قوله وقد مات له ابن فى العيد وهو من المنسرح .

نحن بنى المصطفى ذوو محن يجرعها فى الحياة كاظمنا
عجيبة فى الأنام محتدنا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم طرآ وأعيادنا مآتمنا!!

وقد نسبت هذه الأبيات أيضا إلى (الخليفة العزيز بن المعز) وهو فى هذا المقام الذى يبعد فيه التصنع ، تدل على صدق شعوره بالنسب الفاطمى ، وعلى المرارة الفاجعة التى لم يطق معها صبرا لملاحقة الاحداث لتلك النبعة الطاهرة حتى فى الأعياد ، فاكتفى بنفثات من ذلك الشعور المكبوت !

من أدب العزيز . وكان (العزيز) حازما فصيحا مغرما بتشجيع الفنون والآداب ، ومن دلائل توفيقه أنه وجد فى وزيره الوفى (ابن كلس) خير مستشار لتنفيذ أغراضه الثقافية ، وقد طالت مدة خلافته حتى بلغت إحدى وعشرين سنة ونصف سنة ، ومع ذلك جعلها أعيادا وأعراسا ، وقدر الشعب وفاءه عند وفاته واحتشدت طوائفه للتعزية ، وأكثر الأدباء من رثائه ، والاشادة بذكره .

ومما يدل على شدة التياعهم وأن هول المصاب وجلال الموقف عقد ألسنتهم أنهم عندما أرادوا رثاءه أفحموا ، فقام صبى من أولاد الأمراء الكتاميين ، وفتح باب التعزية ، وأنشد «من الكامل»

أنظر إلى العلياء كيف تضام ومآتم الأحساب كيف تقام!

(١) المعاجر الخمر ، وأمضى أ كثر مضاء وحدة .
(٢) الهواجر واحدتها هاجرة وهى شدة الحر وقد ذكر هذه الابيات كتاب «النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٩» .

خبرتنى ركب الركاب ولم يدع للسفر وجه ترحل فأقاموا !

فلم يكد ينتهى من إنشادها حتى تنفس الشعراء الصعداء ، ثم نهضوا كأنما فكوا من عقال ، فأنشد كل مرثيته ، وكانوا يزيدون عن المائة .

وذكر صاحب شذرات الذهب أن من وفيات سنة ٣٨٦ هـ - توافق ٩٩٦م وفاة العزيز بالله وأن له أدبا وشعرا ، وأنه اختط جامع القاهرة، وبنى قصر البحر[١] ، وقصر الذهب[٢] ، وجامع القرافة[٣] ؛

لتميم بن المعز ، وتميم هذا هو أخو الخليفة العزيز وابن الخليفة المعز . كان شاعرا فاضلا يهتز للأدب اهتزاز الكريم إلى الندى ، ولم يل الخلافة ، لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز ، وقد شهد له الأدباء بأنه كان أنضج أولاد المعز .

(١) نزهة فى النيل : ومن إحدى لياليه أنه ركب ليلة للنزهة فى النيل ، فمر ببعض النوافذ المشرفة على النهر ، فسمع جارية تغنى - من الكامل -

نبهت ندمانى بدجلة موهنا والبدر فى أفق السماء معلق

والبدر يضحك وجهه فى وجهها والماء يرقص حولها ويصفق

فاستحسنه وأخذ منه الطرب كل مأخذ ، فما زال يستعيدها ويشرب حتى

---

(١) (جامع القاهرة) هو جامع الحاكم ، و (قصر البحر) هو القصر الغربى كما فى المقريزى جـ ٢ ص ٢٧ وكان موضعه البيمارستان المنصورى ، ومستشفى قلاوون للرمد يشغل جزءا منه الآن ، وكل المساكن التى تجاوره الى الخليج ، وكان يعرف بقصر البحر وبالقصر الغربى ومدخله كان من البحر المنسوب لهذا القصر

(٢) قصر الذهب . قال المقريزى هو قاعة الذهب وهى إحدى قاعات القصر الكبير الشرقى وكان يدخل اليه من باب الذهب ، ومن باب البحر أيضا ، وموضع هذا القصر اليوم مجموعة المبانى القائمة خلف مدرسة النحاسين الاميريه بشارع القصرين بين شارع بيت القاضى وحارة بيت القاضى (يراجع المقريزى جـ ١ ص ٣٨٥)

(٣) (جامع القرافة) يعرف اليوم باسم حوش أبى على وهو فى الفضاء الفسيح بين جبانة سيدى عقبة ومصر القديمة (راجع المقريزى جـ ٢ ص ٣١٨) وقد أشارت به السيدة تغريد أم العزيز فبنى بالقرافة الكبرى

انصرف وهو ذاهب اللب، فلما أصبح قال يعارض ما سمع - وهما من الخفيف -

أطلع الحسن من جبينـك شعرا　　فوق در من وجنتيك أطلا
وكأن العذار خاف على الور　　د جفافا فمـد بالشعر ظلا

ولم يقصد أن يعارض البيتين السابقين إلا فى المعنى ، ولو شاء المعارضة التامة لاتفق بيتاه مع بيتى الجارية بحرا وقافية فوق المعنى .

(٢) ومن تشبيهاته الجميلة الرائعة قوله يصف آخر الليل - وهو من البسيط -

كان بقايا الليل والصبح طالع　　بقية لطخ الحكل فى الأعين الزرق

(٣) وقد أبدع فى وصف يوم الفراق ، وإليك ما أورده صاحب « يتيمة الدهر » من الطويل »

وما أم خشف(١) ظل يوما وليلة　　ببلقعة بيداء ظمآن صاديا
تهيم فلا تدرى إلى أين تنتهى　　مولهة حيرى تجوب الفيافيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد　　لغلتها من بارد الماء شافيا
فلما دنت من خشفها انعطفت له　　فألفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع منى يوم شدت(٢) رحالهم　　ونادى منادى الحى أن لا تلاقيا

ومما يدل على تجلده لنائبات الدهر، وكتمانه وقع أحداثه قوله - وهو من الطويل

أما والذى لا يملك الأمر غيره　　ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما　　لأعلانها عندى أشد وآلم
وفى كل ماتشكو العيون أقله　　وإن كنت منه دائما أتبسم

ومازال (تميم بن المعز) بين مد الحادثات وجزرها حتى طاح به ريب المتون بمصر سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٤ م) فبكاه الأدب الغض ، والآباء الشامخ ، والكبت القاتل، وحضر الصلاة عليه فى بستانه أخوه الخليفة العزيز ، وغسله

---

(١) (الخشف) ولد الظبي . و (البلقعة) الارض القفر ، و (والصادى) العطشان و (المولهة) التي حيرها الحزن ، و (الغلة) العطش الشديد ، و (الهجير) شدة حرارة التظهير ، و(الطاوى) الجائع

(٢) (شدت رحالهم) رحلو وفارقوا

القاضى الأكبر محمد بن النعمان فقيه الشيعة ومفتيها ، وكفنه فى ستين ثوبا ، وصلى عليه بالقرافة وسنزجى بين يدىء القراء الكرام شيئا مما كان لوزرائهم من فضل للأخذ بناصر الأدب الرفيع

أشرت قبلا (١) إلى شىء من ثقافة الخلفاء الفاطميين ، ونماذج من آثار المعزوالعزيز وأخيه تميم ، فى ظلال أيامهم الباسمه ، والآن أذكر أن وزراء هذه الدولة كانوا من عوامل النهضة الأدبية فى تلك الدولة الخالدة .

١ ـ [منزلة الوزراء] ونظرة خاطفة إلى مكانة الوزراء فى أى عهد تجد أنهم كانوا ومازالوا من الملوك والأقيال والخلفاء عيونهم الساهرة ، وقلوبهم الخافقة ، وأيديهم التى يبسطونها للنعم ، أو يمدونها للنقم .

وسعادة الأمة وشقاؤها يتوقفان ـ إلى حد كبير ـ على الوزراء ، حتى فى العهود الدستورية ، لأنهم الوسطاء بين الملوك وشعوبهم : فهم إذا أدوا الأمانة حق أدائها بسطوا للملوك آمال الأمم وآلامها على حقيقتها ، ثم اقترحوا عليهم مافيه صلاحها الأدبى والمادى ، وحينئذ تسيرشعوبهم قدما إلى الأمام تحت ظلال تلك الرعاية السامية.

وليس فى استطاعة الملوك مهما يبلغوا من السمو فى التفكير والارادة والقدرة أن يستغنوا عن وزرائهم ، وقد قال الحكما قديما : « أعرف الملوك يحتاج إلى الوزير ، وأشجع الرجال يحتاج إلى السلاح ، وأجود الخيل يحتاج إلى السوط وأحد الشفار ، يحتاج إلى المسن .

٢ ـ [وزراء الفاطميين] وقد عرف الفاطميون منزلة الوزراء وحاجتهم إليهم ، لتوطيد ملكهم ، وإسعاد شعوبهم وتثبيت عروشهم ، فألقوا على عاتقهم أعباء الأمور ، فكان منهم الكفء الصالح ومنهم الضعيف الطالح ،

(١) من كتاب ثقافة مصر الفاطمة لصاحبه وقد رجع المقال فى هذا البحث الى الكتب الاتية صبح الاعشى ، الاشارة إلى من نال الوزارة ، وفيات الاعيان ،خطط المقريزى ،شذرات الذهب ، النجوم الزاهرة ، النكت العصريه،الطالع السعيد، بغية الوعاة .

ونجد أكثرهم فى «كتاب الاشارة إلى من نال الوزارة» للأديب المصرى الكبير «ابن منجب الصيرفى» أحد كتاب ديوان الانشاء فى عهدهم، وقدكان وزراؤهم نوعين :

ا ـ ففى العهد الاول كان الوزراء غالبا من الادباء أرباب الاقلام، وقد استمر ذلك نحو مائة سنة وسبع من السنين : أولهم «الوزير بن كلس» وآخرهم «الوزير المغربى».

ب ـ وفى العهد الثانى تولى الوزارة أرباب السيوف، وكان أولهم «بدر الجمالى» وزير الخليفة «المستنصر» سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣م) وإن لم يتقلد خلعة الوزارة رسميا إلا بعد ذلك بسنتين، وآخرهم «صلاح الدين الايوبى» وفى العهد الاخير صار الوزراء يتمتعون بكل السلطات العسكرية والادارية والقضائية وسائر شئون الدولة وصاروا يلقبون من بعد المستنصر بأمراء الجيوش، وعلى توالى الزمن قويت سلطتهم، واستفسر بغاثهم، فصاروا يلقبون بألقاب الملوك مثل : (الملك الافضل للوزير رضوان بن الخشى) ، و (الملك الصالح للوزير بن رزيك) (والملك الناصر للوزير صلاح الدين الايوبى)، ولكن الثقافة العربية، والبحوث العلمية، لم تخفق أعلامها، ولم تتالق شموسها إلا فى العهد الاول : فقد كان الوزراء ومن إليهم من رجال الخلافة ممن لهم بصر بالادب، يطربون للبحوث العلمية، ويشجعون رجال الثقافة بكل مايملكون من جاه ونشب، وأكثر من نبغوا من الباحثين فى العهد الثانى كان نبوغهم قبسا من تشجيع الخلفاء أو الوزراء الادباء، وقل من كان من وزراء السيف أديبا، بل إن منهم من كان أميا !!

والوزير (ابن كلس) أظهر النماذج للوزراء أرباب الأقلام ـ فى العهد الأول ـ
والوزير (ابن رزيك) أبلغ مثل يذكر للوزراء أرباب السيوف ـ فى العهد الثانى ـ
(مرتب الوزراء) ونظرا إلى أن شمس الحرية لم تكن أشرقت على الكون إذ ذاك، وأنه لم يكن يعرف إذ ذاك ما يسمى اليوم بحقوق الأمم فى التعلم، أو ترقية مرافقها المختلفة، نرى أن الكثرة الكاثرة مما كان يجمع من

الأموال كان ينفق على الملوك ، وهؤلاء يمنحون شطرا منه لوزرائهم ومايختص بحروبهم وعمالهم ، وقد كان من نتائج هذا أن مرتبات الوزراء كانت ترتقى إلى درجة بعيدة إذا وازناها بمرتبات الوزراء فى هذه الأيام !!

(وابن كلس) أول وزراء الفاطميين فى مصر كان مرتبه كما تقول شذرات الذهب ١٠٠,٠٠٠ دينار فى الشهر . وبعده أصبح الوزراء يتناولون مرتبا كهذا ، ويقول القلقشندى : كان مرتب الوزير هكذا :

المبالغ التى يقبضها من بيت المال	٣٠٠٠	دينار
وما يتناوله بحكم النيابة كان	١٠٠٠	»
والماهية الخاصة كانت	١٥٠٠	»
والمبالغ المخصصة لمائة غلام وبقية خدمه كان	٥٠٠	»
وما يعود عليه سنويا من إقطاعاته كان	٥٠٠٠٠	»
ومجموع هذه المبالغ النقدية كان	٥٦٠٠٠	»
وهذه غير الحبوب التى كانت تبلغ من القمح والشعير	٢٠٠٠٠	أردب
ومن الغنم	٨٠٠٠	رأس لمطابخه

غير ما يحتاج إليه ويناسبه من الخلع ، وغير ما كان يتمتع به من جاه دونه كل جاه فى هذه الأيام ، بل إنه ربما طغى على نفوذ خلفائهم إذ ذاك !!

(الشعر فى ظلال وزرائهم) لاعجب أن يشجع الوزراء الفاطميون الأدب ، فإن خلفاءهم أسرفوا فى هذا السبيل ـ ولو أنه لاسرف فى الخير ـ وما كان تشجيعهم إياه إلا تلبية لهواتف نفوسهم ، وإشباعا لرغبات ثقافتهم مما كان من مظاهره تخليد شعرائهم وصورهم ، محفوفة بشىء من آثارهم الشعرية ، فإن تجد وزراءهم كالصدى الواضح للصوت المدوى ، فما ذلك إلا لأن الناس على دين ملوكهم ، فكيف إذا كانت طبيعة مراكزهم تحتم عليهم أن يراعوا كرامة منصبهم ، وأبهة خلفائهم ، ومنافسة أمثالهم فى الدويلات التى استكملت مثلهم فى العصر العباسى .

(مجلس العطايا) وحسبى أن أذكر الآن مظهرا من تلك المظاهر التى كانت وما زالت تملك على الناس أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم كانت (دار الملك [1]) من مناظر الخلفاء ، أسسها الوزير الأفضـــل بن أمير الجيوش سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) . فلما كملت حول إليها الدواوين من القصر ، وجعل فيها الأسمطة ، واتخذ بها مجلسا سماه (مجلس العطايا) كان يجلس فيه .

وبعد (الأفضل) صارت (دار الملك) من متنزهات الخلفاء ، وكان بها بستان عظيم ، وما زالت شمسها فى إشراق إلى آخر أيام الدولة الفاطمية، ولم يكن الباعث على إنشاء دار الملك إلا تجلية عظمة المملكة ، وتفخيم أمر الخلافة .

وقد رأى القائد (أبو عبد الله بن فاتك) أن مجلس العطايا يكاد يكون اسما على غير مسمى ، فأمر بتفصيل ثمانية ظروف من الديباج الأطلسى . من كل لون ظرفان ، وجعل فى سيفه منها ٣٥,٠٠٠ دينار ، فى كل ظرف ٥٠٠٠ دينار ، وكشفا بوزنه وعدده و (شرابة) حرير كبيرة ، ومن هذه الظروف ستة فيها دنانير متساوية عن اليمين وعن الشمال فى مجلس العطايا ، وعند مرتبة (الأفضل) بقاعة اللؤلؤة [2] طرفان فى أحدهما دنانير،وفى الآخر دراهم جدد :

فالذى فى اللؤلؤة لمن يستدعيه (الأفضل) إذا كان عند الحرم
وأما الذى فى مجلس العطايا فللشعراء .

وذلك أنه لم يكن لأكثرهم فيما مضى مرتبات ، وإنما كان للمحسن منهم جوائز ، فرأى القائد أن يكون تشجيعهم مما بين يديه من الظروف ، وإذا انصرف الحاضرون سجل هذا القائد الخالد المبلغ بخطه فى بطاقة ، ويقدم الظرف إلى الوزير (الأفضل) فيكتب عليه بخط يده « صح » ويعاد الظرف

(١) كانت على شاطىء النيل آخر عمارة مصر القديمة ، قرب المدرسة المعزية التى حل محلها الآن جامع الشيخ رويش آخر شارع مصر القديمة جنوبا
(٢) كانت قاعة اللؤلؤة مدخل شاع أمير الجيوش البرانى تجاه مدرسة باب الشعرية .

ويختم عليه ، فلما استهل رجب سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م) وجلس الوزير فى مجلس العطايا على عادته وحضر أخوته (الأجل المظفر) للتهنئة ، وجلس بين يديه ، وشاهد الظروف ، والقائد وأولاده وأخوه قيام على رأسه، تقدم الشعراء على ترتيب درجاتهم ، فلما انتهوا من إنشادهم أمر لكل منهم بجائزة !! وشاع خبر الظروف ، وكثر فيها القول ، واستعظم الناس أمرها وابتداعها فضوعف مبلغها ، لما رأى من آثارها !! ثم اتسع هذا الانعام بالصدقات التى جرت بها العادة فى مثل هذا الشهر للفقهاء والرباطات . .

آثار المرحوم حسن توفيق العدل

١٨٦٢ - ١٩٠٤

للأستاذ محمد عبد الجواد
الاستاذ بمعهد المعلمات بالزمالك

كلمة :

يعتبر المرحوم حسن توفيق العدل من أعلام دار العلوم ، ومن خيرة العلماء والأدباء في عصره . درس العلوم، معقولها ومنقولها، على عظماء العلماء بالأزهر ، وحصل على إجازات أربعة من كبارهم وسنه دون العشرين ، وصار يعد بحق من العلماء .

واليك فقرات من إجازات الأساتذة المغفور لهم :

(١) الشيخ ابراهيم السقا بتاريخ شوال سنة ١٢٩٧ ه

(٢) « حسن العدوى « « « ١٢٩٧ ه

(٣) « محمد الانبابي شيخ الاسلام في شعبان سنة ١٢٩٨ه

(٤) « محمد البناني الشنقيطي « « ١٢٩٨ه

قال الأول :

« ولما كان منهم الامام الكامل ، والهمام الفاضل ، والجهبذ الأبر ، اللوذعي الأريب ، والالمعي الأديب ، ولدنا الشيخ حسن توفيق الملقب بالعدل أيده الله بالمعارف ونصر . طلب مني اجازة ليتصل بسند سادتي سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، وينتظم في سلك قد فاق غيره وبهر . فأجبته وان لم أكن لذلك أهلا ، رجاء أن ينشر العلم وأنال من الله فضلا . وأنجو في القيامة مما للآثمين من الضرر . فقلت أجزت المومى اليه بما تجوزلى روايته ، أو تصح عنى درايته ، من كل حديث وأثر ، ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر »

وقال الثانى :

« هذا ، وممن انتظم فى سلك هذه العصابة الموفقة ، ورام اللحوق بالسلف الماضى بما تلقاه وحققه ، الهمام الفاضل ، والشاب الصالح الـكامل ، ولدنا الشيخ حسن توفيق الملقب بالعدل ، السكندرى الصديق . وقد طلب منى أن أجيزه بجميع مروياتى ، وبما تجوز لى وعنى روايته ، فقلت ، وإن كنت لست أهلا لأن اجاز ، فضلا عن كونى أجيز : قد أجزت الشيخ المذكور بجميع مروياتى وبما تجوز لى وعنى روايته »

وقال الثالث فى إجازته :

« وممن اعتنى بعد ماافتنى ، وقطع المفازة ، فطلب الاجازة ، ولدنا النبيه النبيل ، والعالم النجيب الجليل ، والشاب الصالح الـكامل الألمعى ، الشيخ حسن توفيق الملقب بالعدل ، السكندرى الشافعى ، لازال بعنـاية ربه ملحوظا ، وبحسن لطفه الخفى محفوظا ، بعد أن لازمنى مدة مديدة ، وأخذ عنى علوما عديدة . فلما لاح لى كوكب صلاحه ، وفاح لى نشر مسك فلاحه ، ورأيته أهلا لتلك الصناعة ، وجديراً بتعاطى هاتيك البضاعة ، حيث أخذ من الفنون بأقوى طرف ، وأراد الاقتداء فى أخذ الأسانيد بمن سلف . فبادرت لطلبه ، باعطائه بلوغ أربه ، فلم أثن عنه عنان العناية ، بل أجزته بما يجوز لى رواية ، ويصح عنى دراية ، من فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وأذنته بالتدريس ، وأن يتخذ العلم خير جليس »

وقال الرابع :

« أما بعد فلما كان الأستاذ الفاضل ، والألمعى الـكامل ، والعالم الأريب ، والعامل الأديب ، الاستاذ الشيخ حسن توفيق ، السكندرى الأزهرى الملقب بالعدل الشافعى الصديق ـ من أولى الدراية والنجابة ، ومن ذوى الاجتهاد الذين أخـذوا من الفنون بأقوى طرف . إذ ظهر لى منه أمارات نجابته ، وجموع سلامته ، وباحثته فى العلوم ، فظهر كالبدر بين النجوم . ورأيت تآليفاته ، فوجدتها عظيمة للعظماء ، كثيرة النفع للعلماء . منها قصيدته التى فى

مصطلح الحديث ، يعجز عنها كل قديم وحديث ، متغزلا بها موريا للمقصود من المصطلح . وشرحه عليها يشجي النفوس المسمى باظهار الفرح ، وقد طلب مني الاجازة بما تجوز لى روايته ، وتصح عنى درايته . فقلت وإن كنت لست أهلا لذلك: قد أجزت الاستاذ المومى اليه بما تجوز لى روايته ، وتصح عنى درايته ، من فروع وأصول ومنقول ومعقول ، وجميع الفنون ، كما أجازنى بذلك مشايخى الأعلام مشايخ الاسلام وأنا أجيز المومى اليه اجازة خاصة أيضاً فأقول : قد أجزت الشيخ المذكور بكتاب البخارى ومسلم وباقى كتب الأحاديث والتفاسير وعلم النحو وباقى العلوم العربية وأذنته بالتدريس ليجعل العلم خير جليس » . اه

ولم يقتصر على تحصيل العلوم الآزهرية ، بل درس بعض العلوم الكونية كالجغرافيا والتاريخ والرياضة ، وفوق ذلك تعلم اللغة الفرنسية .

دخل دار العلوم ، وهو كتلة علمية ، ومجموعة ثقافية ، وقضى فيها أربع سنوات ، تخرج بعدها ، فرقة وحده سنة ١٨٨٧ م

اختارته نظارة المعارف معلما للغة العربية بالمدرسة الشرقية ببرلين ، ولعله أول مبعوث لمثل هذه المهمة فاحتفلت الدار بتوديعه ، واحتفل به أساتذته وزملاؤه احتفالا رائعاً ، فى ليلة الثلاثاء ٦ من سبتمبر سنة ١٨٨٧ ، دعوا لشهوده جمعا كبيراً من العظماء والكبراء ، وتبارى الخطباء والشعراء فى تعداد مناقبه . وكان منهم المغفور له « الشيخ أحمد مفتاح »و« الشيخ أحمد الحملاوى » و « الشيخ محمد شريف سليم » و « قدرى افندى » ومن قصيدة الشيخ أحمد مفتاح :

لا تبتئس بالنوى ياقلب إن ظعنوا ... هم فى صميمك إن بانوا وإن قطنوا
بانوا فبت أناجى بعــــد بينهم ... عيشا قضيناه لا بؤس ولا حزن
سقى ديارهم فى كل مربأة ... دمع السرور بهم أو عارض هتن

إلى أن قال فى بيت ضمنه اسم «برلين» وهى المدينة التى يقصدهـا .

سر بالسلامة واتلوها مصحفة ... بالبر واللين أو بالبر واللبن

وفى القصيدة مايدل على قيام نضال بينه وبين نفسه فى سفر المحتفل به وأنه أقنعها فى بيت كان آية من آيات حسن التخلص إلى مدح المودع ،قال :

فاسترجعت ثم قالت : ليس من شيمى عتب الصديق ولكن مقصدى (حسن)

وقال الشيخ الحملاوى :

أقلوا العذل فى لومى أقلوا فقلبى من نـواهم مضمحل
أمل بذكر غـير همو دواما وإن ذكـروا فقلبى لايمل
رعى الله أويقـات تقضت وأياما لهـا فى الدهر فضل
إلى أن قال: وقد حسدتك أوغاد ولكن حسودك لايسود وأنت تعلو
وكيف وأنت « توفيق » المعالى سمير للعلا « حسن » و« عدل »
ألا يـا سائق الوابور مهلا فبعـد البعـد خطبى قـد يجل

وفى آخر البيت ماينبىء بخاتمة حياة المترجم .

وقال صديقه المرحوم الشيخ محمد شريف سليم .

كوكب الشرق أينما سار نورٍ ظاهراً فى الوجود أعظم مظهر
شرف الله قدره لمزايا جلت عن أن تعـد وتحصر

ركب الباخرة من الأسكندرية يوم الثلاثاء ١٣ من سبتمبر سنة ١٨٨٧ فوصل إلى برلين فى ٢٠ منه حيث كان فى انتظاره مدير المدرسة الشرقية الذى أحله هناك بمنزله .

وقبل ركوبه الباخرة تشرف بالمثول بين يدى الخديو توفيق ، فأهـداه صورته ، ومنحه الوسام المجيدى الخامس . وقد طلب إليه المرحوم شكرى باشا رئيس الديوان العالى أن يضع تاريخا شعريا لهذا الإنعام فنظم أبياتا ختمها بقوله :

يامليك العصر أرخ أننى أنـا توفيق ونيشانى حسن
١١٨ ٤٢٧ ٥٩٦ ٥٢ ١١١

(١٣٠٤ هـ)

وفى هذا البيت اسم المنعم والمنعم عليه .

آثاره :

لم يعمر الأستاذ أكثر من ٤٢ عاما ولكنه ترك آثاراً عظيمة فى أهميتها وأوليتها ، نبدأ بذكر أولها وهو الرحلة البرلينية ، ثم نتبعها بثبت مؤلفاته .

الرحلة البرلينية :

هى سلسلة رسائل قيد فيها مشاهداته ، وطبعت بمطبعة الحجر بعنوان (رحلة حسن أفندى توفيق) ومنها مجلد بدار الكتب المصرية رقم ١١٢ جغرافيا .

ويظهر أن السنة التى سنها المرحوم من كتابة رحلته أخذها عن رفاعه بك ثم صارت فيما بعد ، عادة متبعة يتبعها كل من رحل إلى أوربا ، فقد حاكاه فى ذلك رفيق صباه المرحوم الشيخ محمد شريف سليم فى رحلته ، والمرحوم محمود عمر الباجورى فى رحلته إلى مؤتمر استوكهلم ، وكذلك عبد الله باشا فكرى وابنه أمين فكرى ، واحمد زكى باشا (فى السفر إلى المؤتمر) .

وهذه المجموعة من الرسائل ،تحتوى ١٣ جزءا وتجد فى آخر كل واحد منها عبارة « البقية تأتى » .

وقد ذكر فى الجزء الأول سيرة سفره ، وحفلة توديعه وماقيل فيها .

وقد شمل هذا الجزء شيئا عن مدينة الأسكندرية ،وركوبه البحر ، والخواطر التى تنازعته عند مغادرته أرض الوطن ، فى كلام طويل من شعر وزجل ، فى قصيده قال فيها:

يامصر مهلا فى الوداع وأجملى	فلغير وصلك عنك لم أترحل
ودعى فتى عشق الفضائل يدرع	سيفا يضارع ماضى المستقبل
أنا لاأحيد عن الوداد وان أكن	عنه أحيد فلن أكون « أبا على »
بك قد نشأت وفيك أسرتى الألى	بهم أتيه على الزمان وأعتلى
انى امرؤ لايستميل بى الهوى	لذوى القدود ولاذوات المحجل

وأنا بليلى والعـــلوم كانما تتلى علينـــا سورة المزمل
واذا رنا ظبي بعادل قده فأرى العدالة أن أكون بمعزل
واذا انثنت شمس المحاسن أنثنى عنها وأذكر شيمتى وتجملى
واذا سلمت وشمت حظى مقبلا فبعون « توفيق » العزيز الأول
الداورى عزيز مصر مليكها شبل العلا فرع الملوك البسل
قوم اذا ما المجد حدث عنهم يوما يحدث عن سعيد عن على

أما الزجل فهو طويل جعل فرشه . .

اللى يعيش ياما يشوف واللى يمشى يشوف أكثر

مما جاء فيه : قالت نفسه مخاطبة عقله تشكوه :

حسن بتاعك طول عمره ديما محيرنى فى أمره
وليه بقى يتعب سره ويسيب بلاده ويبحر
اللى يعيش ياما يشوف واللى يمشى يشوف أكثر

فقال على لسان عقله يخاطب نفسه :

فقال لها ليه حيرانه وفى شبر ميه غرقانه
لازم تـكونى ويانه على الزمان فى الخير والشر

قالت له : معلومك فاضى وجاى هنا عامل قاضى
بحسب أنا مانتش راضى بدى التعب ياسى بعجر

فأجاب .

هوه اللى إيده فى الميه زى اللى إيده فى الـكيه
كل التعب راجع ليـه امالنت تسمن وتظمطر

وبعد أن سرد فى زجله حكاية الأرنب والسلحفاة المشهورة ختمه بقوله :

من بعد ده النفس ارتاحت وبسرها بعدين باحت
قالت دى جمله وانزاحت عنا وهنا خلص المسير

اللى يعيش الخ

وينتهى الجزء الأول بوصوله إلى تريستا .

أما الجزء الثانى وهو ٦ صفحات فمن تريستا حتى وصوله برلين وسياحته بها ولغتها ، والنظام العسكرى فيها . ويذكر فيه مروره فى مدينة فينا على المدرسة التى بها نجلا الخديو توفيق وذكر فى ص٣ منه زيارته لبيت الأسلحة ومشاهدته السرج المذهب ، والسيف الذى زين مقبضه بأحجار ثمينة ، هدية من والى مصر « محمد على » .

أما الجزء الثالث وصفحاته ٨ فقد تكلم فيه على مملكة البروسيا ، وما شاهده من افتتاح البرلمان وذهاب البرنس [بسمارك] إليه ماشيا وحفاوة أهل برلين به وهتافهم له بقولهم Hoch « هوخ » أى عال ، وأشار إلى المدالية التى بيع منها ١٠ آلاف قطعة فى أسبوعين ، وقد كتب فيها آخر جملة نطق بها (بسمارك) فى خطابه إذ قال :

نحن معاشر الألمان نخاف الله لا غير .

ويحتوى الجزء الرابع على شرح الحكمة : سعادة الوطن بحسن تربية الشبان — الوطن — التربية — المنزلية .

وذكر فى الجزء الخامس التربية المدرسية والتربية الأدبية وفى السادس التربية المدرسية العلمية .

أما الأجزاء الثلاثة ٧ — ٩ فقد شغلها بتاريخ البرنس بسمارك وزير الامبراطورية الألمانية لاعجابه به . وقد ذكر عن الوزير من تاريخ حياته ومناقبه مادعاه إلى أن يكتب للمترجم شاكراً له عنايته . وقد ذكر فى وصفه أنه أول سياسى فى الدنيا .

قال فى آخر الجزء التاسع ص ٥ (وقد عنيت بذكر ترجمته تفصيلا إجابة لداعى أمانى اخواننا الشرقيين . ولقد أعلم من نفسى أنى طالما رغبت أن أطلع على مالهذا الرجل من الأعمال والأحوال ، كما أنى شغوف حتى الآن بالاطلاع على تراجم أولى الأعمال العظيمة فى هذه الدنيا ، لعلمى بأنها تفيد الانسان كبير المعرفة واتساعا فى الفكر . وعلى ذلك أتمنى لإخوانى التلامذة أن يهتموا

بمطالعة تراجم المشهورين فى العالم ، بحيث يميزون أعمالهم ، صالحها من سيئها فإن ذلك يكسبهم زيادة فى العقـــل وتنويراً به . فتأخذ طباعهم العالية ولا يعبثوا بجسيم الأعمال التى تبيض صحائف تواريخهم ، وتصل بهم وبوطنهم إلى درجة الكمال) أما الجزء العاشر والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر فقد ذكر فيها برلين وتكلم عن البريد ودار الآثار. ومن الغريب أن الجزء ١٣ جاء فى آخره ــ كسائر الأجزاء ــ عبارة : «البقية تأتى» .

مؤلفاته : كان من نتائج وجوده فى برلين نحو خمس سنوات ودراسته بألمانيا تأليف وترجمة عدة كتب . قامت النظارة بطبع كثير منها واستعماله فى مدارسها منها :

١ ــ البيداجوجيا .

قد وجه المترجم همه إلى فن التربية ، توجيها كان ملحوظا فى رحلاته وسياحاته ودراسته وقراءته ، واطلاعه على أساليب التربية الحديثة ، وبحثه عن أصلحها وأوفقها لمصر والشرق عامة . فوضع أول مؤلف بالعربية فى التربية العلمية . وهو كتاب « البيداجوجيا » أو هداية الأطفال ، كما ترجمها .

جاء هذا الكتاب شاملا لكثير من مباحث علم النفس ، وطرق التدريس العامة والخاصة ، وطرق التربية على العموم . فكان بذلك مربى المربين ، كما صار أستاذ المؤدبين والمتأدبين . ويعتبر صدوره فى وقته بديهة من البدائه الهامة فى التربية ، ونواة مثمرة لعلومها وفروعها .

أقرت نظارة المعارف لزوم طبعه وتدريسه بالمدارس الأميرية ، بناء على قرار اللجنة الصادر فى ١٤ من ديسمبر سنة ١٨٩٠ .

وقد طبع منه جزآن : الاول فى التربية العلمية . بحث فيه عن النفس والجسم والانسان وعن حقيقة التربية وموضوعها وطرقها ووسائطها بوجه عام . وقد أتم تأليفه فى برلين سنة ١٨٩٠ وعمره تسع وعشرون سنة هجرية .

والثانى : فى التربية العملية . بحث فيه عن طرق التعليم العامة والخاصة

وعن نظام المدرسة وتأثيثها الخ . وقد أتم تأليفه كذلك فى نوفمبر سنة ١٨٩١

أما الجزء الثالث ، فى التربية التاريخيه ، أو تاريخ التربية فلم يطبع ولم يظهر على مايظهر .

وقد قدمه بأبيات ختمها بآية من آيات الذكر الحكيم قال:

أهدى الكتاب لسادتى وأنا أخ لهمو مقيم
فيه لقد وافيتهم والله بالنبأ العظيم
يتبينون به مطا لع حكمة البارى الحكيم
والله يهدى من يشا ء إلى صراط مستقيم

وقد تكلم فى مقدمته عن أهمية التربية عند الامم الغربية وتدوينهم قواعدها ثم أشار الى وجوده فى برلين ، واستكشافه أحوال المعلمين ، والمتعلمين وكيفية التعليم والتعلم ، وزيارته للمدارس العامة والخاصة ، والسافلة والعالية ومشاهدته أكاديمياتهم العلمية والصناعية ، وتعزيزه ذلك بدراسة البيداجوجيا فى الجامعة وخارجها .

واستعان الله فى وضع كتاب فيها ، إيفاء بحقوق الوطنية . واستخدم فى ترجمته أشهر الكتب المعتمدة ، وراعى عند الترجمة الآداب والعادات المشرقية والشرع الشريف ، والدين الحنيف .

وقد اعتذر فى هذه المقدمة بأنه « كاسد القريحة ، قليل البضاعة ، مشتت البال ، كثير الأشغال ، ناء عن الاهل والاخوان ، بعيد عن الاوطان » (١) وأن كتابه صعب الموضوع ، وعر الطريق ، لم يسبقه كتاب عربى ينسج على منواله الخ .. فيطلب العفو عن الزلات . وإقالة العثرات ، كما كانت عادة قدامى المؤلفين المتواضعين . وختمها بذكر الخديو « توفيق » كعادته فى كتبه .

ب ــ رسائل البشرى فى السياحة بألمانيا وسويسرا سنة ١٨٨٩

رحلة قام بها وهو معلم اللغة العربية فى المدرسة الشرقية ببرلين . غادرها صباح الجمعة ١٦ من أغسطس . وعاد اليها ١٥ من سبتمبر سنة ١٨٨٩ قطع

(١) البيداجوجيا ص ٣

فيها بلاد المانيا الغربية ، وشمال وشرق سويسرا ، فالمانيا الجنوبية . وقد تم تحرير رسائلها فى أواخر يناير سنة ١٨٩٠ ببرلين . وطبعت بالمطبعة الاميرية سنة ١٨٩٠ بمصر؛ يليها خريطة المانيا وجزء من سويسرا . وقد بدأها وختمها بمدح الخديو « توفيق » بعد الشكر للمعارف . وقد قدم هذه الرحلة بكلمة أكبرها المرحوم « الشيخ حسن المرصفى » صاحب الوسيلة الأدبية ، وقال إنها أحسن ما كتب فى السفر . قال :

« أما بعد فهو السفر طالما أسفر عن عجائب . وهو الترحال كثر ماأعرب عن غرائب، يدرب الانسان ، ويشحذ الاذهان ، وجدير بمن تحمل رعائبه ، أن ينال رغائبه ، ولو لم يكن منة عظمى ، لما من الله على قريش بايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »

أشار فى مقدمتها الى أثر الرحلة والسياحة فى توسيع نطاق علمى الجغرافيا والتاريخ، باعتبارهما أساس الرقى ودائرة المعارف . وختمها بقوله « أودعت فيها ماشاهدته بتلكم البلدان والاقطار ، متبعاً فى ذلك السائحين الاوربيين ، مقتديا بأسلافنا الرحالة الشرقيين ، أولى السياحات العربية ، الذين لهم اليد البيضاء فى توسيع نطاق علم الجغرافيا ، وعادات الامم وسار على منهجهم الاوربيون ... الخ » (١)

ثم ذكر أمثلة لهؤلاء الرحالة العرب ، وآثارهم وأعمالهم ومؤلفاتهم قائلا :

« تلك أعمالهم وتآليفهم ، بين ظهرانينا ، فى كل فن وعلم ، ولكن واأسفاه ! نراها ميتة فى جلودها ، لا تجد لها باعثاً لروحها ، أو مطالعاً لأسطرها ، أو طابعاً لها !! ألم يكن طبعها أولى من طبع ثلاثين جزءا من قصة عنترة ابن شداد ، وأبى زيد الهلالى سلامه ، والزير سالم ، وخضرة الشريفة وغير ذلك ؟ » (١)

ولا يفوتنا أن نأخذ عليه ذكره لبعض هذه القصص ، لما لها من الاثر

(١) رسائل البشرى ص ٥٢ ، ص ٥٥

فى الشعب ودراسة الادب وتاريخه ، مع أنه من دعاة دراسة تاريخ الادب العربى ، كما سترى .

ج ــ الحركات الرياضية البدنية .

هو كذلك أول كتاب بالعربية فى بابه . أشار عليه يعقوب أرتين باشا بأن يترجم أحد الكتب الالمانية ، فى هذا الموضوع . فعمد الى كتاب الدكتور شريبر أحد مشهورى أطباء ليبسيك بمملكة سكسونيا ، لانه جامع لاهم الحركات ، شارح فوائدها (١)

وقد تم طبعه بأمر وكيل المعارف فى ظل الخديو ، فى سبتمبر سنة١٨٩٥ أثبت فيه ٤٥ حركة مصورة بخطوط بيضاء ، فى أرضية سوداء ، ثم ذكر بعدها ١٠ تمرينات صحية لمن يشكو مرضاً من الامراض .

وقد صدر هذا الكتاب والمترجم فى مصر ، مفتش بنظارة المعارف .

د ــ مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات .

فى التربية الجسمية ، منذ الحمل إلى سن البلوغ طبع سنة ١٨٩٧ جمع فيه بين مانقله عن كثير من الكتب الالمانية ، وما شاهده بأسر أغلب العواصم الاوربية ، وما ورد فى كتب الآداب الاسلامية ، والسنة النبوية (١)

هـ ــ أصول الكلمات العامية ــ الرسالة الاولى ــ طبعت سنة١٨٩٩ بمطبعة الترقى . ذكر:أنه أيام عهده بتدريس اللهجة العربية المصرية بالمدرسة الشرقية ببرلين، دعته الحال الى البحث فى الألفاظ والتراكيب المستعملة فى المحادثة ، التى تخلفت عن توارد الدول التى حكمت مصر بعد العرب ، وما تناثر من أفواه القبط بعد الفتح العربى ، وما تركه الدخلاء على اختلاف لغاتهم ، فوجد هذه الألفاظ كثيرة . ولما عاد الى مصر وجد من نفسه نزوعا الى متابعة التنقيب عن هذه الألفاظ لإرجاعها الى أصولها . وكان يود لو جمعها فى مجلد واحد ، الا أنه نشرها فى رسائل صغيرة ، تسهيلا لتداولها . فأثبت فى هذه الرسالة الأولى مائة كلمة . رتبها على حروف المعجم (١)

---

(١) أنظر مقدمة الكتاب .

و ـ سياسة الفحول فى تثقيف العقول طبعت سنة ١٩١٠ بعد وفاته . جمع فيها من الحكم والأمثال ، وثمرات عقول الرجال ، ماقسمه الى ثلاثة أقسام. الأول ـ على نمط قيل وقال . والثانى ـ حكم وأمثال شعرية . والثالث حكم ونصائح نثرية (لم ينشر هذا القسم الثالث فى الكتاب) . وقد رمى بنشرها الى تثقيف العقول وتهذيب الأخلاق . وقدم لها بمقدمة شرح فيها العقل وأقسامه وكيفية نموه ، وجودة حدسه . وأعقب ذلك بفصل فى كيفية تثقيف عقل الانسان من أول نشأته الى أن يصير كامل العقل . وقد أشار الى الخديو « توفيق » ووكيل المعارف وذكر (دار العلوم) التى شيدت قصور عقله ، وأرقته الى سلم فضله . وكما هى عادته يختتم كلامه بقوله وبالله التوفيق . (١)

هذا وله آثار كثيرة لم تطبع : منها منظومة فى النحو،وأخرى فى الحساب وتاريخ اليونانيين والرومانيين ، وتاريخ ممالك أوربا الى سنة ١٨٩٠ وحياة العرب قبل الإسلام ، ورواية ليلى ابنة لكيز . ووصايا الآباء للأبناء . الخ (٢)

هذا . وإن التراث الذى خلفه المترجم ، من المؤلفات المطبوعة وغير المطبوعة ، ينم عن رغبته فى إعلاء شأن وطنه ، وأنه كان يود لو أصبحت مصر وأهلها كما كان يشاهد فى أوربا . وكان يستحث أبناء وطنه «على محاكاة الغربيين فى مدارسهم ومعاهدهم ، وطرق تعليمهم وتربيتهم ، وفى خطابه الى أمين سامى (باشا) مثل من هذه الامثلة العليا فى الوطنية» (٣) .

المترجم وأدب اللغة العربية وتاريخه :

كانت دراسة الادب العربى فى القرن الثالث عشر الهجرى سائرة على طريقة المبرد فى كامله والقالى فى أماليه . وكان المدرسون ينحون نحو المرصفى فى وسيلته الادبية ، والشيخ حمزه فى مواهبة الفتحية .

---

(١) انظر مقدمة الكتاب

(٢) أنظر ص ٩٢ من كتاب مرشد المعاملات و (ص) ٤٧ من رسالة أصول المكاتبات العامية

(٣) انظر ٥ فى ص ٣٥، ٣٦ هنا وفى المؤيد ١٩ يونيه سنة ١٩٠٤

تلك الدراسة المبعثرة ، بعثرة النجوم فى السماء ، أو الرمال فى الصحراء . تضرب فى القواعد تارة ، وفى اللغة أخرى . تتعرض للشعر مرة ، وللنثر آونة . تلمح للتاريخ حينا وتبرق للقصص لحظة .

«وأول من تنبه لتاريخ أدب اللغة ، المرحوم على مبارك باشا ، مؤسس دار العلوم . فعهد إلى الشيخ حمزة فتح الله بالمحاضرة فيه على ماجاء فى كتابه « المواهب الفتحية » ثم عهد الى فقيد الأدب المرحوم المبرور حسن افندى توفيق تعليم هذا الفن فى « دار العلوم » وكان قد تمم دروسه بألمانيا ، واطلع هناك على مصنفاتهم فى آداب لغتهم ، وحسن تنسيقها وترتيب مباحثها. فأخذ فى تأليف كتاب يجمع إلى رقة الآداب جمال الترتيب ، فأصاب حاجة كانت فى أنفس الأدباء الخ (١).»

وإلى المترجم ، يرجع الفضل فى تدريس تاريخ أدب اللغة العربية ، على الصورة التى يدرس بها الآن . فهو لذلك يعد مبتكرا لهذا النوع من الدراسة. ذلك أنه لما رأى منهج الألمان فى دراسة هذا الأدب ، غير هذا المنهج المتبع بمصر . نقل طريقة بروكلمان ، فى تنظيم دراسة الأدب وتاريخه وتقسيمه إلى عصور . وضع معالم هذه الدراسة على هذا النحو ، فاتبعه بعد ذلك أساتذة الأدب العربى ، وساروا على خطته ، وحذوا حذو منهجه .

كتب مذكرته فى تاريخ أدب اللغة العربية لتلاميذه بدار العلوم فكانت نواة لما ألف بعدها ، وصورة مصغرة لما تلاها من الكتب والموسوعات لأنها كانت النبراس الأدبى الذى أضاء السبيل ، والذى أخذ بيد أساتذة الأدب العربى فى مصر وفى غيرها . فهداهم إلى أقوم الطرق .

كتاب تاريخ أدب اللغة العربية :

عندما رحل المترجم إلى انجلترا ، وخلف مذكرته فى تاريخ أدب اللغة العربية، أراد المرحوم أمين سامى (باشا) ناظر مدرسة الناصرية (ودار العلوم)

(١) مذكرات ادب اللغة العربية للمرحوم الشيخ سلام سلامه استاذ الادب بدار العلوم وانظر الفقرة التالية الخاصة بكتاب تاريخ ادب اللغة العربية

طبعها على نفقة النظارة كما فعلت فى مؤلفاته السابقة . وكتب إلى المترجم فى انجلترا فأجابه رحمه الله قبل وفاته بنحو أسبوعين . وكتب اليه فى ٢٠ من مايو سنة ١٩٠٤ يقول بعد الديباجة (١).

« وانى أقدم لسيدى جزيل شكرى على حسن ثقته بى ، وقدره كتاب تاريخ أدب اللغة حق قدره، والازماع على طبع نسخ منه على مطبعة (الغراء) للعام المقبل ، ثم حتى على تقديمه للنظارة لطبعه على نفقتها . ومع عظيم الأريحية والسرور ، أتلقى بكبير الثناء وعظيم الشكران ، تلك العناية الجليلة الصادرة من فاضل خبير ، يقدر الأمور حق قدرها ، ويضعها بالمكان اللائق بها . وأحيط شريف العلم ، انى أردت منذ حضورى لهذه البلاد (يريد انجلترا) أن أضع هذا الكتاب على نظام نهائى أرضى عنه ، ويقوم بحاجة الموضوع فحاولت مطالعة الكتب بمكاتب انجلترا كنوز العلم ، وانتقيت ماحلا منها . وبينما أنا كذلك إذ وجدتنى فى بحر متلاطم لاساحل له ، ووقفت فى عدة مواضع لاأزال أنقب عنها كل لحظة . وبذلك اتسع المجال وتشعبت أمامى السبل .

ولقد كان بود الاستاذ براون ، لو يطبعه على نفقته . وخابر جريدة المؤيد فى ذلك ، وتم بينهما هذا الخيال . إلا أن رغبتى فى الكمال أقعدتنى هذه الأيام عن إبرازه فى رداء النقص . وأنا لاأزال اشتغل بترتيب مواضيعه ، وزيادة مواده التاريخية ، التى أكتشفها اكتشافا بمحض الفكر والاستنتاج ولذلك لايتيسر لى أن أرسل تلك الزيادات ، لأن هيكله أخذ شكلا آخر وحجما أكبر من حجمه الأصلى ثلاث مرات ، لغاية الدولة الأموية . ويصعب على الآن فى القريب العاجل ، أن أرتبه وأنظم أبوابه وأنسخه . وإن شاء الله يتم ذلك فى الشتاء الآتى . وبناء عليه أرى طبع النسخة الموجودة الآن بأيدى الطلبة على حالها الأصلى ، حتى أرسل بالنسخة الجديدة، ولايزال

(١) انظر جريدة المؤيد ١١ يونيه سنة ١٩٠٤ بعنوان « إنما يعرف الفضل من الناس ذووه » عقب نبذة من رسالة وردت على جناب اللورد كرومر من المستر براون

المستر براون مؤملا أن يطبعه على نفقته ، ويهديه لقراء العربية ، هدية محضة . وإني ، كما يعلم سيدى ، مابخلت عامة عمرى ، ولن أبخل ، بأى خدمة لنظارة المعارف . وبودى أن أقدم هذا الكتاب للنظارة هدية ، كأمثاله السالفة، برا بها ، كما يبر الولد المطيع بوالده الكريم، ومنى لحضرات إخوانى، خالص الود ورائق السلام ، ولعزتكم فائق الاحترام والاجلال أفندم ؟

المخلص

حسن توفيق

وقد يدرك القارىء أن موته (٣ يونية سنة ١٩٠٤) حال بينه وبين ظهور كتابه الجديد ، وطبعه على الصورة التى كان يفكر فيها. غير أن الوزارة طبعت رسالته الصغيرة بمطبعة مدرسة الفنون والصنايع الخديوية ١٩٠٦ ووزعتها على الطلبة

وقد جاء فى آخر الرسالة التى طبعت بمدرسة الصنايع سنة ١٩٠٦ بخطه :

بعونه تعالى وحسن توفيقه تم الجزء الاول من كتاب آداب اللغة العربية ويليه الجزء الثانى ، وأوله اللغة العربية فى عصر الدولة العباسية الخ ...

وقد علمت من الأستاذ محمد على مصطفى عميد المفتشين ، وكان مساعدا للدكتور براون بكلية كمبردج بعد سنة ١٩١٨ . ان الدكتور براون محتفظ بهذا الاثر الجليل ، يضن به على أعظم صديق . وقد حاول أخونا محمد أن يحصل على هذه المذكرات ، فقال له ، كل المكتبة تحت تصرفك ،إلا هذه المذكرات .

وهو بهذا يناقض ماجاء فى رسالته إلى مفتى الديار المصرية ، بعد وفاة المترجم ، من أنه « حفظ عنده ماكان يكتب (الفقيد) من كتاب فى الادبيات العربية ، لكى ينظر فيه ويرسله من بعد » (١)

تنبيه :

نشرت مجلة « الكتاب » فى عدد يوليه سنة ١٩٤٧ ترجمة ضافية له، يحسن لمن أراد الاستزادة من سيرته أن يطلع عليها .

محمد عبد الجواد

الاستاذ بمعهد المعلمات بالزمالك

(١) انظر جريدة « المؤيد » بعنوان « انما يعرف الفضل من الناس ذووه » فى عدد ٤٢٨٠ ص ٥ فى ١٩ من يونيه سنة ١٩٠٤

تقرير مرفوع لمعالى وزير المعارف

عن المقـــــترحات الواردة فى تقـــرير

لجنة ترقية اللغـــة العربية بالمـــدارس

تشكيل اللجنة وعملها :

١ — فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٥ أصدرتم معاليكم قراراً وزارياً بتشكيل لجنة تقوم ببحث وسائل ترقية اللغة العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية والنظر فى البرامج والكتب المؤلفة وتيسير قواعد النحو . وقد نص القرار على تأليف اللجنة برياسة حضرة الأستاذ أحمد أمين بك وعضوية كل من حضرات الأساتذة على الجارم بك وابراهيم مصطفى وعبد الحميد حسن ومحمد خلف الله . ثم ضم اليها الاستاذ محمد على مصطفى فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٥ .

وعقدت اللجنة حينئذ بعض الجلسات ، ثم وقفت أعمالها إلى أن أعدتم تشكيلها فى ٩ فبراير سنة ١٩٤٧ مع ضم حضرتى الأستاذ منصور سليمان والدكتور عبد العزيز القوصى ، ثم حضرتى الدكتور عبد الوهاب عزام بك وزكى محمد المهندس بك ، إلى عضويتها .

وقد والت اللجنة العمل بعد ذلك ، وقدمت فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٧ تقريرها النهائى ، متضمنا خلاصة أبحاثها والمقترحات التى انتهت إلى وضعها . ويسرنى أن أسجل هنا أن هذا التقرير ينم عن جهود عظيمة ، ونظر واسع ، وعمق فى البحث مكن اللجنة من النفاذ إلى صميم مشكلات تعليم اللغة العربية بالمدارس ، كما ينم عن جرأة فى الأخذ بوسائل الاصلاح وميل إلى التجديد ،

ولكن من غير طفرة . واللجنة جديرة بكل شكر وثناء وتقدير لما بذلته من جهود .

عرض تقرير اللجنة على المؤتمر الثقافى العربى :

٢ — وفى الوقت الذى فرغت اللجنة فيه من عملها كان المؤتمر الثقافى العربى الأول على وشك الانعقاد فى لبنان ، وكان فى مقدمة الموضوعات التى تضمنها برنامجه النظر فى وسائل النهوض بتعليم اللغة العربية،فاستأذن الأستاذ أحمد أمين بك الوزارة فى عرض تقرير اللجنة عليه ووافقت الوزارة على ذلك . وكان التقرير أساس مناقشات المؤتمر فى مجموعات متفقة مع آراء اللجنة .

مؤتمر رجال اللغة العربية :

٣ — ورغبة فى تعرف آراء جمهور المشتغلين بتعليم اللغة العربية فى مقترحات اللجنة ، أمرتم معاليكم بارسالها إلى جميع مفتشى تلك المادة ومدرسيها الأوائل بالمدارس الثانوية ونخبة من مدرسيها ليبدوا ملاحظاتهم عليها . ولما تجمعت هذه الملاحظات لدى تفتيش اللغة العربية عقد مؤتمراً عاما من رجال اللغة العربية لمناقشتها وكان اجتماعهم بمقر معهد التربية للمعلمين بالمنيرة فى أيام ٨ ، ٩ ، ١٠ فبراير سنة ١٩٤٨ . وسجلت خلاصة الآراء التى انتهى اليها المجتمعون فى محضر رفعه حضرة عميد مفتشى اللغة العربية للوزارة ، وهى فى جملتها مؤيدة لمقترحات اللجنة ، مع طائفة من التوصيات والرغبات التى يراها المجتمعون كفيلة بتيسير واتقان تنفيذ تلك المقترحات .

أقسام التقرير

٤ — وانى إذ أرفع لمعاليكم تقرير اللجنة ومحضر اجتماع المؤتمر ، أنتهز هذه الفرصة لأخص محتويات التقرير والملاحظات الهامة التى أبدها المجتمعون عليها وما أراه بشأن تنفيذ المقترحات .

وقد قسمت اللجنة تقريرها ، بعد كلمة تمهيدية افتتحته بها إلى ثلاثة أقسام خصصت كل قسم منها لمرحلة من المراحل الآتية وهى :ـ

ا ــ رياض الأطفال والمدارس الأولية

ب ــ المدارس الابتدائية

جـ ــ المدارس الثانوية

وسأتابع اللجنة فى هذا التقسيم ، وان كان يلاحظ أن ضم المدارس الأولية إلى رياض الأطفال لايمثل حقيقة وضعها الحالى . فالمدرسة الأولية فى نظامها الجديد تقابل الروضة والمدرسة الابتدائية معاً ، فينبغى أن تطبق فى السنتين الأولى والثانية منها المقترحات الخاصة بالرياض، وتطبق فى السنوات الثالثة إلى السادسة المقترحات الخاصة بالمدارس الابتدائية .

أللغة العربية فى رياض الأطفال

٥ ــ تنقسم مقترحات اللجنة فيما يتعلق برياض الاطفال إلى قسمين :

القسم الاول يتعلق بأساليب تعليم اللغه فى هذه المرحلة ، وينبغى أن يوضع على صورة توجيهات للمدرسين

والقسم الثانى يتعلق بمسائل تنفيذية تقوم بها الوزارة أو غيرها من الهيئات الفنية .

والمبادىء الأساسية التى تقوم عليها مقترحات القسم الأول هى :ـ

أولا ــ أن تتخذ لغة الاطفال العامية وسيلة للتعليم فى أول الأمر فى مرحلة الرياض والمدارس الاولية ، وتبذل بعض العناية لتهذيب هذه اللغة العامية بالتدريج ، ويزود الطفل بين الحين والحين بكلمات عربية صحيحة ترادف ما يستعمله من الالفاظ العامية مع ملاحظة أن تكون قريبة فى شكلها من عامية الطفل . ويراعى فى تصحيح نطق الاطفال ألا يكون بالقدر الذى لايحول بينهم وبين الانطلاق فى التعبير .

وقد اعترض على هذا المبدأ بعض رجال اللغة العربية ، وقالوا إن هذا يتعارض مع ماترمى إليه اللجنة مع طبع النشء على العربية السليمة . ولكن

مناقشة المؤتمر أظهرت أنه ليس هناك تناقض ، إذ أن المراد هو جعل اللغة العامية ابتداء لتعليم العربية بتصحيح مافيها من تحريف وتصويب مافى نطقها من خطأ . وما إلى ذلك مما يحولها من عامية إلى عربية ، وبهذا يتجمع للتلميذ ذخر عربى سليم بأيسر سبيل وبأقرب الطرق ملاءمة لمداركه . على أن هذا الذخر سيزداد بما يهرسه التلميذ من قصص ومطالعة وأناشيد ، وكلها باللغة العربية الصحيحة .

ثانيا — « أن يكون هدف المعلم فى السنة الأولى من الروضة تهيئة الوسائل للاطفال لكى يعبروا عما فى أنفسهم تعبيرا حراً بالحديث والرسم والتلوين والغناء والأناشيد والحكايات واللعب بالصور والجمل والكلمات وما إليها . فاذا سار هذا سيره الطبيعى واتجهت رغبة بعض الاطفال إلى التعبير عن طريق الكتابة والقراءة أمكن المعلم أن يستجيب لهذه الرغبة ويشبعها طبقا لحاجات الأطفال واستعدادتهم ...

أما القصد إلى تعليم الكتابة على أساس طريقة أو طرق مقصودة مرسومة فينبغى أن يؤجل إلى السنة الثانية .

ثالثا — « مما تنصح به التربية الحديثة أن يبدأ فى تعليم القراءة باستعمال جمل معروفة أو كلمات مألوفة للطفل من حيث المعنى والنطق ، وبذلك يمكن الطفل أن يقرأ الكلمة صحيحة دون أن تكون مشكولة . ولهذا ترى اللجنة أن يؤجل الضبط بالشكل الى المرحلة التحليلية ، على ألا يدخل إلا بالمقدار اللازم لصحة النطق بالكلمات .

رابعاً — « أن التفاهم باللغة لا يتم إلا إذا كانت الالفاظ ظاهرة فى نطقها ، واضحة فى حروفها وكلماتها . وهذا يتطلب تمرينا وعناية من المعلمين والمعلمات ولا سيما فى المراحل الاولى من التعليم حتى يجيد الاطفال النطق بالحروف وإخراجها من مخارجها الصحيحة ، والنطق بالكلمات ووصل مقاطعها . »

والمبادىء الثلاثة الأخيرة لم ترد عليها أية ملاحظة .

وأرى أن يعهد إلى اللجنة الدائمة لترقية اللغة العربية بوضع مقترحاتها

القائمة على هذه المبادىء جميعاً على صورة توجيهات تبلغ لرياض الاطفال والمدارس الاولية لتسير عليها ويطلب الى تفتيش الرياض ومفتشى الدوائر للتعليم الاولى مراعاة تنفيذها .

أما القسم الثانى من المقترحات فيما يتعلق بهذه المرحلة فيتضمن ما يأتى :ـ

أولا ـ وضع معجم يبين على وجه التقريب الذخر اللغوى للاطفال ومايجرى على ألسنتهم من ألفاظ وتراكيب ، حتى يمكن الانتفاع بهذا فى وضع كتب المطالعة والقصص والاناشيد وبذلك يجىء كل هذا ملائما لعقول الاطفال .

وتقترح اللجنة أن تقوم بهذا العمل لجنة فنية تضم عددا من المدرسين الممتازين لمعاونتها فى جمع مادة المعجم على حسب ماترسم من خطط .

وقد أدت العبارة التى صيغ فيها هذا الاقتراح إلى شىء من سوء الفهم . إذ ظن بعض رجال تعليم اللغة العربية أن المقصود وضع معجم لصغار التلاميذ واستنتجوا مما ورد فى تقرير اللجنة عن ضرورة البدء فى تعليم اللغة العربية بالرياض من لغة الطفل ، وهى اللغة العامية ، أن المقصود وضع المعجم باللغة العامية .

والواقع أن المقصود ـ قياسا على ماحصل فى اللغات الاخرى ـ هو إجراء بحث علمى يرمى الى تحديد المفردات الاكثر شيوعا فى الاستعمال العادى ، مرتبة على حسب درجة شيوعها فى الحديث وفى الصحف والمكاتبات والمؤلفات الأدبية والعلمية الدارجة ، حتى يبدأ بتعليمها للاطفال ويتدرج بهم إلى تعلم الالفاظ الاقل شيوعا كلما ارتقى التلاميذ فى مراحل التعليم ، ويراعى هذا الترتيب فى كتب المطالعة وغيرها من الكتب التى تؤلف للاطفال وهذا هو ما قام به العالم « ثورندايك » فى أمريكا ، وحذا حذوه بعض العلماء فى البلاد الاخرى ، وكانت أبحاث ثورندايك الاساس الذى قامت عليه طريقة وست فى تعليم اللغة الأنكليزية .

أما الالفاظ والتراكيب التى تجرى فعلا على ألسنة الاطفال فلا تحدد الهدف

الذى سعى للوصول اليه فى تعليم اللغة فى كل مرحلة ، بل تحدد الامر الواقع الذى ترمى إلى الارتفاع عنه .

فاذا كان المقصود هو مابينته ، فان هذا بحث فنى يحسن أن يشرف عليه إخصائيون فى التربية التجريبية ، ولذلك أقترح لفت نظر معاهد التربية اليه ليكون من الابحاث التى تعنى بها .

ثانيا ـ اصلاح كتب المطالعة المستعملة فى رياض الأطفال والمدارس الأولية والريفية .

وقد تنبهت الوزارة إلى ضرورة هذا الاصلاح عند النظر فى تقرير الكتب للعام الدارسى القادم . وألفت لجنة لوضع كتاب للمبتدئين فى تعلم القراءة والكتابة على أساس المبدأ الثالث من المبادىء التى قررتها اللجنة وسبقت الاشارة اليها .

أما الكتب التى تلى ذلك ، فأرى أن يطلب الى اللجنة الدائمة لترقية اللغة العربية أن تحدد وجوه الاصلاح والتعديل التى ترى إدخالها عليها ، وتقترح الطريقة التى تراها ملائمة لاجراء التعديل المطلوب .

ثالثا ــ إعداد ألواح جدارية لمطالعة الاطفال تتضمن قصصا وموضوعات مما يشوق الأطفال ويتبع من بيئاتهم ، وتكتب بخط واضح ، وتوضح بالصور .

وإعداد صور قصصية تعرض على الاطفال بين الفينة والفينة فى ألواح جدارية كبيرة يدور حولها حديثهم .

وأرى أن تعقد الوزارة مسابقات لهذا الغرض ، ويطلب إلى اللجنة الدائمة وضع شروط المسابقة والتوجيهات اللازمة للمتسابقين ، تمهيدا لذلك .

رابعا ــ وضع كتيبات صغيرة يتناول كل كتاب منها قصة أو حديثا مما يقع فى دائرة الطفولة وتستخدم هذه الكتيبات للقراءة على سبيل المراوحة فى حجرات الدراسة وفى المنازل .

وأرى تحويل هذا الاقتراح على الادارة العامه للثقافة للعمل على تنفيذه.

اللغة العربية فى المدارس الابتدائية

٦ — بحثت اللجنة فى تحديد المستوى الذى ينبغى أن يصل اليه التلميذ عند انتهائه من مرحلة التعليم الابتدائى ، واستقر رأيها على أنه ينبغى أن يحصل التلميذ على قدر كاف من اللغة العربية يستطيع معه أن يقرأ قراءة مرسلة قليلة اللحن مع فهم المعنى ، وأن يعبر باللسان والقلم عما يجول بخاطره فى عبارة مستقيمة قليلة اللحن ، وأن يطبع على حب اللغة والشغف بقراءة الكتب العربية

ثم عالجت اللجنة تدريس فروع اللغة المختلفة فى هذة المرحلة على هذا الأساس وبينت ماتقترحه بالنسبة إلى كل فرع .

وكانت الوزارة قد ألفت فى الصيف الماضى لجانا لاعادة النظر فى مناهج المرحلة التعليمية الأولى ، وكان من بين أعضاء لجنة مناهج اللغة العربية بعض أعضاء لجنة ترقية اللغة العربية المشتركين فى بحوثها فأمكن عن طريقهم تنفيذ أكثر مقترحات هذه اللجنة فى المناهج الجديدة التى سارت عليها الدراسة هذا العام . كما سأبينه عند الكلام على كل فرع من الفروع .

المطالعة :

فأما القراءة (المطالعة) فأكثر ماأوردته اللجنة بشأنها هو توجيهات تتناول الأغراض المختلفة التى تهدف اليها القراءة وأنواعها ، والأساليب المشوقة التى تتبع فى كل نوع من هذه الأنواع ، ومن الأمور البارزة فى هذه التوجيهات تأكيد أهمية المطالعة الصامتة ، والافاضة فى التمثيل للاساليب الحديثة المتبعة فيها . وقد أثبتت هذه التوجيهات مع شىء من التهذيب فى صدر المنهج الذى طبع ووزع على المدارس .

وقد وافق مؤتمر اللغة العربية على الاتجاه الذى تمثله هذه التوجيهات وأوصى الوزارة بتيسير سبيله فى المدارس من حيث المال والأدوات اللازمة لاعداد بطاقات المطالعة ولوحاتها كما أوصى بتقليل عدد حصص المدرسين على قدر ما يستلزمه هذا النظام من جهود فى إعداده ، وستحول هذه التوصيات على المراقبة العامة للتعليم الابتدائى .

وفيما عدا ذلك تناولت اللجنة موضوع كتب المطالعة واقترحت :

أولا — أن تختار كتب المطالعة هيئة فنية يكون لها بالمدارس وبالتدريس صلة وخبرة تامة . ويكون هذا الاختيار فى حدود واسعة مرنة . ثم يترك الهيئات الفنية المحلية أن تتخير من هذه الكتب ما يناسبها ، على أن يطبق عليها نظام الفترات التى تبقى فيها مستعملة فى المدرسة ونظام التبادل بين المدارس المختلفة »

وقد نفذت الوزارة ذلك بأن عهدت إلى اللجنة الدائمة لترقية اللغة العربية اقتراح ما يقرر من كتب المطالعة ولها أن تراعى فى اقتراحاتها المرونة اللازمة .

ثانيا — « أن يقدم المدرسون ملاحظاتهم على موضوعات الكتب الجديدة من حيث مناسبتها للتلاميذ وبيئتهم وحياتهم ثم تقوم هيئة فنية ممن لهم صلة بالمدارس وبالاشراف على التعليم بالاطلاع على هـــذه الملاحظات وتمحيصها واقتراح ما ينبغى عمله من التغيير فى الكتاب كله أو بعضه .

وهذا أيضا قد وكل إلى اللجنة الدائمة للغة العربية ، ولها أن تطلب إلى المدرسين ملاحظاتهم عن طريق عميد المفتشين ، وهو أحد أعضائها .

ثالثا — أن يعنى بالاخراج الطباعى لهذه الكتب فتطبع طبعا جيداً وأن يتدرج فى حجم الحروف التى تطبع بها .

« وأما فيما يتعلق بالضبط بالشكل فلا يلزم إلا ضبط آخر الكلمات ، وكذلك ما هو مظنة الخطأ ، مع التدرج فى الاقلال من الشكل كلما تقدم التلاميذ.

« ويجب أن تزين هذه الكتب بالصور الشائقة الملونة ، وتنفيذ هـــذا الاقتراح من شأن اللجنة الدائمة أيضا ، إذ ينبغى أن تنص على هذه التوجيهات فى الشروط التى وضعها لمسابقات تأليف كتب المطالعة .

رابعا — « الاهتمام بتزويد مكتبة المدرسة بكثير من الكتب الملائمة لكل فرقة . وبأن يكون فى كل فصل إلى جانب ذلك مكتبة خاصة يتبادل التلاميذ قراءة ما فيها من كتب فى دروس المطالعة الصامتة أو يستعيرونها لقراءتها

خارج الفصل . على أن يضع المدرس نظاما يتعرف به درجة استفادة التلاميذ مما قرءوا .

والنظام الذى أقرته الوزارة أخيراً لاقتناء كتب المكتبات كفيل بتزويد المدارس بالكتب الصالحة . وأما نظام مكتبات الفصول فقد قدمت اللجنة الدائمة لترقية اللغة العربية أخيراً اقتراحا بشأنه ، أحالته على حضرتى المراقب للتعليم الابتدائى والمراقب العام لتعليم البنات لبحث وسائل تنفيذه . والمرجو أن ينفذ ابتداء من العام الدراسى القادم .

التعبير الشفهى والكتابى

وانتقلت اللجنة بعد ذلك إلى « التعبير » وقد استعملت هذا اللفظ ليشمل المحادثة والانشاء التحريرى معا ، وهو استعمال مناسب فى هذه المرحلة لابراز الغرض الأساسى من هذين الفرعين والصلة القوية بينهما بحيث لا ينبغى فصل أحدهما عن الآخر فى الدرس .

وأهم المبادىء التى تقوم عليها اقتراحات اللجنة فى هذه الناحية هى :

أولا — أن تكون الحرية أساسا للتعبير بنوعيه الشفهى والكتابى .

ثانيا — ألا يتقيد بحصة أو حصص معينة يقتصر عليها . فالتعبير بأوسع معانيه يتحقق فى كل درس وفى كل وقت بل فى كل مظهر من مظاهر الحياة . وإذا أخذناه بهذا المعنى بعدنا به عن جو الشكلية الضيق ومزجناه بالحياة لأنه من مقوماتها .

ثالثا — أن يترك الطفل فى التعبير الشفهى كى ينطلق بلغته الطبيعية ، ولا يتعرض المدرس لاصلاح أخطائه إلا بعد أن يتم حديثه ، ويحسن أن يتدرج إلى ذلك قليلا فى المرحلة الأولى ثم يتزايد كلما تقدم التلميذ فى المرحلة الثانية .

رابعا — أن يتخذ المعلم اللغة العربية السهلة وسيلة فى تعليمه ، وأن يشجع التلاميذ على التعبير بها ، وأن يتدرج لهم فى ذلك إلى أن يستطيعوا فى نهاية المرحلة التعبير السليم .

وقد دلت آراء اللجنة المبنية على هذه المبادىء إلى توجيهات أثبتت فى صدر منهج مدارس المرحلة الأولى .

واقترحت اللجنة نظاما للاصلاح والارشاد فى التعبير الكتابى كان مثاراً للاعتراض من رجال اللغة العربية . إذ قررت أن الغرض الأول من الاطلاع على كراسات التلاميذ إنما هو إلمام المدرس بمقدار ماوصل اليه تلاميذه من الاستفادة ومعرفة المدى الذى بلغه كل منهم وخير وسيلة للاصلاح إنما هى الاصلاح المباشر الذى يشترك فيه المعلم والتلميذ معا فى قراءة الموضوع . ولكن هذا غير ميسور فى جميع الأحوال ، غير أنه من الممكن أن يشترك المدرس مع بعض التلاميذ فى هذا النوع من الاصلاح فى الفترات الملائمة ، وإلى جانب هذا النوع يستطيع المعلم أن يرسم خطة للاطلاع وحده على عدد من الكراسات فى كل موضوع وأن يداول بين طوائف التلاميذ حتى ينتهى من التصحيح لهم جميعا فى موضوعات متفرقة . ولا يصحح من الأخطاء إلا ما كان واضحا ، حتى لاتثبط همة الأطفال ولا يضيع فائدة التصحيح .

« ويجدر بالمدرس أن يسجل الأخطاء العامة الفاشية بين التلاميذ وأن يخصص وقتا لاصلاحها ويدربهم على الصواب تدريبا عمليا واسع النطاق فى درس أو أكثر من دروس القواعد أو الهجاء »

وهذا الموضوع ، وإن كان يبدو شكليا ، له أثر عملى فى تدريس اللغة العربية . إذ أن النظام الحالى فى تصحيح الكراسات يساعد على جعل تدريس الانشاء آليا ، ويضيع الكثير من جهود المعلمين ووقتهم فيما لاطائل تحته ، إذ أن التلاميذ قل أن يعنوا بالاطلاع على مايثبته المدرس من تصحيح فى كراساتهم .

كذلك اقترحت اللجنة أن يترك عدد موضوعات الانشاء للمدرس . فله أن يعطى منها مايراه مناسبا وما يتسع له الوقت . وهذه هى النتيجة الطبيعية للمبدأ الذى قررته اللجنة من عدم التقيد بحصص معينة للتعبير الشفهى أو الكتابى ، على أساس أن التعبير يتحقق فى كل درس وفى كل وقت .

وقد رأى الكثيرون من رجال اللغة العربية أن عدم إصلاح جميع الكراسات وعدم تحديد عدد الموضوعات ضار بصالح العمل . واحتدم النقاش فى هاتين المسألتين فى المؤتمر . ولكن الرأى استقر فى النهاية على الأخذ باقتراحات اللجنة ، على أن يراعى ما يأتى :

ا — أن يتجه حضرات المفتشين فى تقدير الأعمال الكتابية إلى النوع ولا يحفلوا بالعدد إلا عند التقصير الواضح .

ب — أن يتحقق المفتشون من مدى إفادة التلاميذ من توجيه مدرسهم وعلاجه للاخطاء المشتركة .

حـ — أن يعنى مكتب التفتيش بإرسال مايراه من التوجيهات التى لا مناص منها لسير تعليم الانشاء وتصحيحه وعدد موضوعاته سيراً محققا للغاية المرجوة .

وأوافق على تبليغ الملاحظتين (ا) و (ب) لحضرة عميد المفتشين ، أما الملاحظة الأخيرة فلا داعى اليها ، فضلا عن أنها قد تتعارض مع الأخذ بمبدأ عدم تحديد الموضوعات .

الأناشيد والمحفوظات

وفيما يتعلق بالأناشيد والمحفوظات أوردت اللجنة طائفة من التوجيهات تتعلق باختيارها والموضوعات التى يجب أن تتداولها ، وقد أثبتت هذه التوجيهات فى صدر المنهج .

واقترحت اللجنة أن يشترك مدرسو اللغة العربية ومدرسو الموسيقى فى تدريس الأناشيد . وهذا هو المتبع فى الغالب ، ويصح أن يبلغ إلى المراقبة العامة للتعليم الابتدائى لمراعاته حيث لا يكون متبعا إذا كانت ظروف المدرسة العملية تسمح به .

كذلك اقترحت اللجنة عقد مسابقات لوضع الأناشيد تنتهى باخراج كتاب يجمع أنواعا منها للفرق المختلفة فى مراحل التعليم ، وأرى أن يعهد إلى اللجنة الدائمة بوضع شروط هذه المسابقات تمهيداً للاعلان عنها .

وقد لاحظ المؤتمر خلو منهج المحفوظات فى السنتين الثالثة والرابعة الابتدائيتين من القرآن الكريم ، وقرر بالاجماع أن يضاف مقدار كاف منه يلاحظ فى اختياره أن يكون ملائما لمدارك التلاميذ . وأرى أن يعهد إلى اللجنة الدائمة بذلك .

وتنقسم ملاحظات اللجنة فيما يتعلق بالاملاء إلى قسمين :

الاملاء

فأما القسم الأول فيتعلق بتيسير قواعد الاملاء على أساس أن يتم التطابق بين الكتابة والنطق بطريقة مطردة خالية من الخلاف .

وتدرك اللجنة أن البت فى هذا الموضوع وتنفيذ نواحى التيسير والاصلاح يتطلب إقرار الجهات المختصة – كالمرجع اللغوى – بعد استعراض المقترحات المختلفة . وقد أوردت فى تقريرها ملخص مشروع للتيسير أعده بعض أعضائها ، يتناول إصلاح قواعد الهمزة ومحو الشذوذ فى حذف حروف ينطق بها وفى إثبات حروف لا ينطق بها ، والاصلاح الخاص بفصل بعض الكلمات ووصلها . وكيفية كتابة الألف اللينة والتنوين . وأوصت اللجنة أن تنفذ هذه الاصلاحات على مراحل .

وأرى أن يبلغ المشروع المقترح الى المجمع اللغوى حتى إذا ما اتخذ فى شأنه قراراً عملت الوزارة على تنفيذه .

وأما القسم الثانى من ملاحظات اللجنة فيما يتعلق بالاملاء ، فتوجيهات للمدرسين أساسها أن يكون الاملاء درسا تعليميا لا اختياريا ، وأن يكون الهجاء متصلا بفروع اللغة وبالأعمال التحريرية فى المواد الأخرى ، وأن تكون موضوعات الهجاء والقطع التى تستخدم فى التدريب عليه مما يشوق الاطفال ويتصل بحياتهم وما يحتاجون إلى استعماله من الكلمات فى الحديث الشفهى .

ويتضمن هذا القسم أمثلة للاساليب المشوقه التى يمكن استخدامها وقد أثبتت توجيهات اللجنة فى صدر المنهج .

الخط :

وقد عالجت اللجنة تدريس الخط . واقترحت بشأنه مايأتى :

أولا — « ألا يقتصر فى الاهتمام بالخط وتحسينه على دروس الخط أو دروس اللغة العربية فحسب ، بل ينبغى ربطه بالمواد الأخرى وترغيب التلاميذ فى تحسينه فيها جميعا . »

وتوصى اللجنة بهذه المناسبة بمراعاة حسن الخط وتنسيقه ووضوحه عند تقدير درجات جميع المواد فى الامتحانات .

وأرى أن تبلغ توصية اللجنة للمدارس وأن تخصص درجتان من درجات كل مادة فى امتحانات النقل وفى امتحان شهادة الدراسة الابتدائية للخط حفزا للمدرسين وللتلاميذ على العناية به .

ثانياً — « ألا يقوم بتدريس الخط فى كل مدرسة إلا من يحسنون الخط من مدرسى اللغة العربية . وللا كثار من المدرسين المجيدين للخط تقترح اللجنة أن تنشىء الوزارة أقساما لتحسين الخطوط وتلحق بمعاهد إعداد المعلمين ، يلحق بها من ذوى المؤهلات من لهم استعداد طيب فى الخط ، وبعد سنة أو أكثر يقضونها فى تعلم الخط والطرق الحديثه لتدريسه يعينون بالمدارس ليعاونوا فى تحسين الخط . »

وأرى أن يحول هذا الاقتراح على المجلس الأعلى لمعاهد المعلمين والمعلمات لدراسته ، والنظر فيما إذا كان من المستحسن تخصيص مدرس للخط غير مدرس اللغة العربية ولاسيما أن اللجنة توصى بأن يقسم الوقت المخصص للخط أنصاف حصص كما سيأتى ذكره . وقد اعترض مؤتمر رجال اللغة العربية على ذلك ، وأصر على أن يقوم بتدريس الخط مدرسو اللغة العربية .

ثالثاً — « أن يلغى خط الثلث من المدارس ، ويقتصر على تعليم الخط النسخ فى السنة الأولى وفى فترة من السنة الثانية ثم يقتصر على تعليم خط الرقعة فيما بعد » .

وقد ألغى خط الثلث فعلا من منهج المدارس الابتدائية والأولية ، اكتفاء بجعله من أبواب النشاط الفنى .

أما إلغاء خط النسخ بعد السنة الثانية الابتدائية - أو فترة منها - فأرى أن تعيد اللجنة النظر فيه .

رابعاً - « أن يعمل معلمو الخط على إنشاء جمعيات لتحسين الخط بالمدارس ، وإقامة معارض له ومنح المتفوقين فيه جوائز ، وفى هذه الجمعيات يجد المعلمون فرصة لتنمية مواهب التلاميذ الخطية وتدريبهم على أصول الخط وقواعده وتدريبهم كذلك على الأنواع التى يميلون إليها » .

وقد أشير إلى ذلك فى التوجيهات المبينة فى صدر المنهج .

خامساً - أن يقسم الوقت المخصص للخط إلى أنصاف حصص، وبذلك تكثر أوقات التدريب ويذهب الملل الذى ينشأ من حصة كاملة للخط » .

وهذا مبدأ سليم ، إلا أنه يتعارض مع تخصيص مدرس للخط كما سبق القول . وقد اعترض عليه مؤتمر رجال اللغة العربية ، ولكن مما يضعف قيمة اعتراضهم تمسكهم بأن يكون مدرس الخط هو مدرس اللغة العربية .

سادسا - « العدول عن صرف الأمشق الحالية ، والاكتفاء بأن تصرف للتلاميذ كراسات بيضاء يحاكون فيها أحيانا نماذج يكتبها المعلم أمامهم على السبورة ، وأحيانا يحاكون ألواحا واضحة من الخط (بطاقات) تقوم بوضعها لجنة تؤلف لهذا الغرض ، على أن يكون أساس هذه الألواح عبارات تامة فى أغراض تهم التلاميذ لا حروفا أو كلمات مفردة » .

وأقترح أن يطلب إلى اللجنة الدائمة اقتراح أسماء أعضاء اللجنة التى تؤلف لوضع البطاقات المطلوبة والتوجيهات التى تعمل هذه اللجنة بمقتضاها .

أما العدول عن صرف الأمشق فأمر فيه نظر . ولعل الاعتراض ينصب على الأمشق الحالية ، لا على مبدأ صرف الأمشق . فاذا كان الأمر كذلك ، فيمكن اللجنة الدائمة أن تضع التوجيهات اللازمة لوضع أمشق جديدة تحقق الأغراض المقصودة .

سابعا — « أن يكون للخط العربى درجة خاصة على درجة إجابة اللغة العربية فى امتحان شهادة الدراسة الابتدائية ، نهايتها العظمى عشر درجات، ويكون بكشف الدرجات خانة خاصة بالخط . وتقدر درجة الخط على مقدار حسنه وتنسيقه فى ورقة إجابة اللغة العربية .

وللخط فى الواقع درجة خاصة تقتطع من درجة اللغة العربية ، ولكنها توضع على أساس سؤال خاص يطالب التلميذ فيه بكتابة عبارات مختلفة بأنواع الخط الثلاثة . وواضح أنه إذا استبق خط النسخ إلى السنة الرابعة الابتدائية فانه لا يمكن تقدير درجته على أساس درجة إجابة اللغة العربية كلها . ثم إنه إذا أخذ بما سبق اقتراحه من تخصيص درجتين لكل مادة لجودة الخط فى الاجابة ، كان من المستحسن إبقاء تقدير درجة الخط على أساس خير ما يستطيع التلميذ انتاجه فى الكتابة إذا بذل جهده فى تحسينها وتنسيقها .

القواعد النحوية :

أما فيما يتعلق بالقواعد النحوية فقد كان بعض أعضاء اللجنة يرون أن يعاد النظر فى مصطلحات النحو وأبوابه ، ووضع قواعد جديدة على أسس جديدة . ولكن الأغلبية رأت العدول عن هذا الآن ، لأن ذلك أولا يحتاج إلى إقرار الهيئات العليا كالمجمع اللغوى والأزهر والجامعتين ، وثانياً لأنه يحتاج إلى إعداد المعلمين وتمرينهم على هذه القواعد الجديدة قبل البدء بتنفيذها .

ولذلك رأت اللجنة أن خير وسيلة لتذليل هذه المادة أن يوضع المنهج على أساس التيسير والحذف، والاعتماد على الناحية العلمية فقط من غير كثير تحوير فى المصطلحات والقواعد . وعلى هذا الاساس وضعت اللجنة منهجا للسنوات الثانية والثالثة والرابعة الابتدائية ، وصدرته بتوجيهات تتلخص فيما يأتى :

أولا — يجب أن يكون تعليم القواعد النحوية فى عبارات وموضوعات حيوية تهم التلاميذ وتشوقهم لا فى أمثلة صناعية تؤلف لهذا الغرض .

ثانياً – لايتعرض للاشارة إلى الأعراب التقديرى ولا للاعراب المحلى فى المفردات والجمل. وغاية مايعرف التلاميذ من هذا الباب: أن من الكلمات مايتغير آخره وأن منها مالايتغير آخره.

ولا يتعرض كذلك لذكر أن العلامات الفرعية نائبة عن العلامات الأصلية

ثالثاً – يسكت أيضا عن تقدير الضمائر فى الأفعال كما سكت النحاة عن تقديرها فى الأسماء المشتقة. ولا تقدر المتعلقات المحذوفة للظرف أو الجار والمجرور.

رابعاً – يقتصر فى إعراب المضاف إليه على قولنا (مجرور بالأضافة) ولا تذكر كلمة مضاف إليه.

خامساً – يقال فى إعراب اسم كان مبتدأ مرفوع، وفى خبرها خبر منصوب لكان، ويقال فى إعراب إسم إن مبتدأ منصوب بأن وفى خبرها خبر مرفوع.

سادساً – لاتعطى تعاريف ويكتفى فى المصطلحات بما أشير اليه فى منهج كل فرقة.

سابعاً – يقتصر فى الاعراب على وظيفة الكلمة فى الجملة وحكمها الاعرابى من غير تأويل

وقد قبلت لجنة وضع منهج اللغة العربية لمدارس المرحلة الأولى المنهج الذى اقترحته اللجنة للقواعد النحوية بتعديل طفيف بالنسبة للمدارس الابتدائية، وأضافت اليه بعض الموضوعات بالنسبة للسنتين الخامسة والسادسة من المدارس الأولية.

أما التوجيهات فقد أجملت لجنة المنهج بعضها فى عبارات عامة، وأغفلت بعضها الآخر مثل التوجيهين الواردين فى (رابعا) و(وخامسا)، وهما فى الواقع لايحتويان إلا على تعديلات لفظية فى أسماء المصطلحات النحوية؛ الأصلية أوضح لأذهانهم.

وقد اعترض بعض رجال اللغة العربية على المنهج الجديد ، زاعمين أن عدم دراسة التعاريف والمصطلحات النحوية على النمط القديم مضعف لثقافة التلاميذ النحوية . وطالبوا بزيادة المنهج فى بعض الأبواب .

وناقش المؤتمر هذه الاعتراضات ، وانتهى فيها إلى الموافقة « على ماجاء بالمنهج الجديد خاصاً بدراسة النحو والاعتماد فيها على عرض الأمثلة الكثيرة الجديدة ومحاكاتها . على أنه لامانع - بعد إشباع الموضوع تمثيلا ومحاكاة - من تنبيه التلاميذ للضوابط النحوية ، حتى تكون محاكاتهم قائمة على أساس دراسة التعريفات المنطقية الدقيقة التى تستنفد فى استنباطها من الجهد والوقت مالا تجنى معه ثمرة مكافئة » .

وفيما يتعلق بزيادة المنهج فى بعض الأبواب ، اتفق المؤتمر على « أن مثل الرغبات لاتمس جوهر المنهج ، وأن فى الامكان مقابلتها بضروب من العلاج الذى يقوم مكتب التفتيش به على حسب ماتقتضيه الحال » ،

وأرى أن هذه الفقرة الأخيرة تفتح الباب للتوسع فى منهج النحو عن طريق النشرات التى يصدرها مكتب التفتيش . والأفضل أن يعرض حضرة عميد المفتشين على اللجنة الدائمة الرغبات التى أبداها رجال اللغة العربية لتنظر فيها وتقرر على ضوئها ما إذا كانت ترى إدخال أى تعديل على المنهج .

وهناك ناحية أخرى فى المنهج أرجو أن تعيد اللجنة الدائمة النظر فيها ، وهى مبدأ وضع منهج للقواعد النحوية للسنة الثانية الابتدائية . نعم أن اللجنة قد أوضحت أن الغرض من المنهج الذى وضعته « طبع التلاميذ على الأساليب الصحيحة وتدريبهم على طرق استعمالها تدريبا عمليا أساسه المحاكاة والتكرار من غير أن يعطى فى ذلك تعريف أو قواعد أو مصطلحات » . ولكن إذا كان هذا هو الغرض فتحقيقه لايحتاج إلى وضع منهج خاص للنحو أو إفراد دروس خاصة له ، بل يتحقق التدريب المطلوب فى كل درس من دروس اللغة فى هذه الفرقة .

وقد أضافت اللجنة إلى الغرض السابق أن يعنى المدرس بتوضيح مدلول

الكلمات الآتية بالأمثلة فقط ، من غير أن تخصص لها دروس خاصة أو تعرف تعريفا اصطلاحيا . ويشمل المنهج الذى أوردته اللجنة بعد ذلك عرض جمل مكونة من جزأين تبدأ باسم تارة وبفعل تارة أخرى ، وعرض جمل بها مكملات بالمفعول والظرف والوصف والاضافةوالجار والمجرور ، وتدريب التلاميذ على تسمية الجملة بالمكملات السابقات وعرض جمل تشتمل على حالات الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، وتدريب التلاميذ على الاتيان بهذه الجمل،والتدريب على الاستفهام والنفى بالأدوات الشائعة وعلى النهى والأمر.

وهنا وجه الخطر ، إذ أن المدرسين بالرغم من التوجيهات يصعب عليهم بحكم ماألفوه الاقتصار على تدريب التلاميذ على هذه الجمل من غير أن يعطوا المصطلحات ويعرفوها ، ليمكنوا التلاميذ من التميز بين نوع وآخر من أنواع الجمل . وهكذا تتحول الدروس إلى دروس نحوية من النوع المألوف ، كما حدث فعلا فى العام الحالى .

وأرى حذف منهج القواعد النحوية من السنةالثانية الابتدائية ، اكتفاء بما يناله التلاميذ من تدريب على التراكيب الصحيحة فى دوس المطالعة والاملاء والمحادثة وغيرها . والقدر الذى يحتويه المنهج المقترح للسنة الثانية يمكن أن يضاف إلى منهج السنة الثالثة من غير إرهاق ، ولا شك أن تلاميذ هذه الفرقة أقدر على فهمه .

٧ - حددت اللجنة أهداف تعليم اللغة العربية فى مرحلة التعليم الثانوى على الوجه الآتى :

اللغة العربية فى التعليم الثانوى :

« أن يهيأ للتلميذ فى هذة المرحلة . نصيب من التثقيف اللغوى والأدبى يمكنه من التعبير السليم عن مختلف رغائبه ومطالبه فى الحياة ، ويكون عنده عادة المطالعة وتتبع نواحى الانتاج الفكرى ، ويصل بينه وبين الآثار الأدبية الخالدة التى تعين قراءتها على تربية ذوقه وتنمية فكره » .

ورأت أن تحقيق هذه الأغراض يستلزم إعادة النظر فى مناهج اللغة العربية فى هذه المرحلة وأساليب تعليمها ، وخاصة مناهج الأدب والبلاغة التى أدخلت اللجنة عليها تعديلا شاملا يتناول أسسها .

الأدب والبلاغة :

فقد لاحظت أن دراسة تاريخ الأدب تبدأ فى المناهج الحالية قبل أن يكون للتلميذ محصول كاف من الأدب ترتكز عليه ، وأنها قد شغلت مكانا فسيحا من مناهج الدراسة ونالت قسطا كبيراً من جهود المعلمين والتلاميذ حتى طغت على دراسة الأدب فأصبحت الفائدة منه قليلة . والطريقة الطبيعية فى الدراسه الأدبية أن تبدأ بدراسة الأدب نفسه وتجعل له الحظ الأوفر من الجهد والاهتمام .

ورأت اللجنة أن يكون منهج الأدب مرتبطا بدراسة النصوص ومرتكزا عليها فى السنوات الخمس ، وأن تكون أغلب نصوص السنتين الأولى والثانية من الأدب الحديث ، حتى يجد التلاميذ فى المراحل الأولى من دراستهم الثانوية أدبا يدور حول موضوعات متصلة بنواحى التفكير عندهم والحياة المعاصرة لهم ، ويمكن أن يمزج به فى هاتين السنتين نصوص سهلة مشابهة من الأدب القديم تصل التلاميذ تدريجا بروح تلك العصور ، وتعين على تفهم ألوان الأدب الحديث . ولا محل فى هاتين السنتين لدراسة تاريخ الأدب ، ولكن يكتفى ببعض المعلومات الضرورية عن الأدباء الذين تدرس نصوصهم .

واعتبرت السنة الثالثة مرحلة متوسطة فى الدراسة الثانوية ، فاقترح أن يكون عماد الدراسة الأدبية فيها نصوصا من مختلف العصور سهلة قريبة من أذهان التلاميذ تعالج على الطريقة السابقة فى السنتين الأوليين ، مع إضافة مايقتضيه الترقى الفكرى عند التلاميذ من نواحى الدرس ، ومع العناية بدراسة شاعر وكاتب من رجال النهضة الحديثة ، ليكون فى ذلك عون للتلاميذ على البحث وترجمة الحياة والاتصال بالنواحى الأصلية من حياة الأدباء.

أما فى السنتين الرابعة والخامسة فترى اللجنة أن النضوج الفكرى والأدبى عند التلاميذ يسمح بأن تقوم فى ظلال النصوص دراسة للموضوعات البارزة فى تاريخ الأدب ، فتدرس فى السنة الرابعة نصوص العصرين الجاهلى والاسلامى (الأموى) ويختار مع ذلك شاعر وخطيب من رجال هذين العصرين فتدرس ترجمتهما وتدرس معها الخصائص البارزة للعصرين . وفى السنة الخامسة تدرس نصوص من العصر العباسى مع العناية بنصوص العصر المصرى من الفاطميين إلى الأيوبيين ، ومع دراسة شاعر وكاتب من هذه العصور أيضا مع دراسة أهم الخصائص لهذه العصور ، وكل ذلك مع المحافظة على الاساس الجوهرى وهو جعل النص محورا للدراسة ، واعتبار التاريخ على هامش الأدب .

واستعرضت اللجنة تطور النقد العربى وصلة النقد بالبلاغة ، ووصلت إلى أن تدريس البلاغة بشكلها المألوف لايحقق الهدف المقصود من هذا اللون من الدراسة وهو تربية الذوق الفنى عند التلاميذ ، وإعانتهم على حسن فهم الجمال الأدبى وتذوقه ، وإنارة الطريق أمامهم فى نواحى الخلق والابداع الأدبى ، لهذا رأت اللجنة أن تعود بالنقد إلى وظيفته الأولى وأن تجعله جزءاً عملياً أصيلا من دراسة النص ، ورسمت له منهجا مدرجا مرتبطا من ناحية بمنهج النصوص ، ومناسبا من جهة أخرى للتطور الذهنى عند التلاميذ . وجعلت اللجنة فى السنتين الرابعة والخامسة مكانا لبعض النواحى النظرية الأصيلة فى النقد كدارسة الكلمة والجملة وأثر كل منهما فى أداء المعنى ، وكدارسة طرق التصوير المختلفة وبيان مافيها من جمال ، دون كثير تعرض للتفصيلات ، وكدراسة الفنون الأدبية النثرية والشعرية ، وشروط جودتها وعرض نماذج منها .

هذه هى الأسس التى رأت اللجنة أن يقوم عليها منهج الأدب والنقد بالمدارس الثانوية ، وأرى أن السير على هذه الأسس جدير بأن يخلق تعليم اللغة العربية خلقا جديدا يساير روح العصر الذى نعيش فيه . وقد وضعت

اللجنة هيكلا للمنهج لمختلف الفرق الثانوية وأقترح أن يعهد الى اللجنة الدائمة وضع منهج مفصل على أساسه .

وقد كان لبعض رجال اللغة العربية ملاحظات على هذا المنهج تتلخص فيما يأتى :

ا ـ أن الانحراف عن دراسة تاريخ الادب والبلاغة على النظام القديم ليس من مصلحة التعليم .

ب ـ أن فى إهمال المنهج الجديد للأدب الأندلسى إضاعة لذلك التراث النفيس ، وحرمانا للتلاميذ من الاستمتاع به.

حـ ـ أنه يؤخذ على المنهج قلة الاحتفال بتاريخ الأدب فى العصر الحديث مع شدة الحاجة الى سعة الالمام به .

د ـ أن إهمال دراسة البديع قضاء على ناحية من نواحى الجمال البلاغى لاغنى للمتأدب عنها .

هـ ـ أن عدم تخصيص حصة مستقلة للبلاغة مدعاة لعدم الاكتراث بها،

ولكن المؤتمر قرر « الموافقة على المنهج المقترح للأدب وتاريخ الأدب والبلاغة وفق ماجاء به ، لأنه يحقق الاهداف المقصودة من هذه الفروع الثلاثة وفيه مايشير الى دراسة الأدب الاندلسى وغيره ، وما يفيد أن دراسة البديع ستكون عملية فى خلال دراسة النصوص الأدبية . »

المطالعة

وقد عالجت اللجنة فروع اللغة الاخرى بالتعليم الثانوى ففيما يتعلق بالمطالعة أكدت أهمية القراءة الخارجية والقراءة الحرة المنوعة فى المكتبة، ورأت أن يصرف لكل سنة دراسية كتاب أو أكثر يدرسه التلاميذ ويؤدون فيه امتحانا ، ويكون الكتاب فى موضوع واحد ، كأن يكون قصة ، أو رحلة ، أو مسرحية ، أو سيرة ، وهذا إلى جانب كتاب يشتمل على مختارات متنوعة من الأدب والتاريخ والاجتماع والسير والرحلات ومن موضوعات علمية فى أسلوب أدبى يقرأ فى الفصل باشراف المدرس .

وقد اعترض بعض رجال اللغة العربية على صرف كتب المطالعة التى يسمونها « الاضافية »، وأشاروا إلى :

ا — « قلة مايستفيده الجيل من تقرير كتب معينة للمطالعة الاضافية لكل سنة من السنوات الدراسية »

ب — « تقييد حرية المدرس بالاقتصار على الكتب المقررة »

ولكن المؤتمر وافق على « تقرير كتاب أو أكثر إضافى لكل سنة على أن يكون ذا موضوع واحد وفى أسلوب جذاب ، وأن يمتحن فيه التلاميذ آخر العام ، وأن تتغير هذه الكتب كل عام أو عامين ، حتى لا يصطبغ الجيل بصبغة طائفة خاصة من الكتب القليلة . ولا مانع من أن يكون بعض الكتب المختارة شعرا فى السنتين الأخيرتين »

كما قرر المؤتمر « أن للمدرس كل الحرية فى أن يقرىء تلاميذه أو يقرأ عليهم فى حصص المطالعة مايستجيده ويعتقد نفعه للتلاميذ مما ينشر فى الصحف والمجلات وغيرها .

وأرى أن يطلب إلى اللجنة الدائمة تحويل المبادىء التى أوردتها إلى توجيهات توضع فى أول منهج اللغة فى الدراسة الثانوية . وقد نفذت الوزارة فكرة صرف كتاب أو أكثر من الكتب الأدبية الحديثة للتلاميذ ليدرسوها ويمتحنوا فيها . ويصرف معها لكل فرقة كتاب يشتمل على مختارات من النوع الذى تشير اليه اللجنة ، على أنى أرى أن يكتفى بصرف هذا النوع الأخير للسنتين الأولى والثانية . أما بعد ذلك فيزاد عدد الكتب ذات الموضوع الواحد ، إلى جانب كتب النصوص الأدبية .

الانشاء :

وأما الانشاء فقد لاحظت اللجنة أن الطريقة التى تتبع فى تعليمه تكاد تقتصر على إعطاء التلاميذ موضوعا يطالبهم المدرس بالكتابة فيه . وقد يناقشهم فى عناصره شفوياً قبل أن يطالبهم بالكتابة . وكتابة التلاميذ فى هذه الموضوعات تسير سيرا سطحيا متكلفا لا يساعد على الابتكار .

وترى اللجنة أن الأساس الأول للاصلاح فى هذه الناحية، الربط بين التعبير وبين النواحى الأخرى من النشاط المدرسى والاجتماعى ، واستغلال كل الفرص الطبيعية الممكنة لتنمية قوى التعبير عند التلاميذ فى جميع سنى الدراسة ، مثل : حل النصوص الأدبية وشرحها ، وتلخيص الكتب والقصص ، والتعليق على الحوادث الجارية . وكتابة تقارير عن الرحلات والمشروعات الدراسية وأشرطة الخيالة . وإعداد المقالات والأخبار لمجلة المدرسة ، والخطابة والمناقشة والمناظرة وغيرها مما يدخل فى نشاط الجمعيات الأدبية .

على أنه ليس معنى هذا أن يترك النشاط التعبيرى فى الدراسة الثانوية لمحض الفرص بل يجب أن يخصص له وقت فى جدول الدراسة فى جميع السنوات ، وأن ينوع بحيث يشمل النواحى السابقة ويشمل إلى جانبها نوعا من الدروس يطالب التلاميذ فيه بالكتابة فى موضوعات يقترحها عليهم المدرس بعد إعدادها أو بدون إعداد ، مع الحرص على استقلالهم فى التفكير والتعبير . وهذا النوع الأخير يهدف إلى الأبداع وتمرين قوى الخيال عند التلاميذ والتدريب على الفنون الأدبية المختلفة .

وترى اللجنة أن النوع الأول — القائم على انتهاز الفرص — ينبغى أن يكثر فى السنوات الدراسية الأولى على حين يبدأ الثانى قليلا ثم يأخذ فى الكثرة تدريجاً حتى يغلب فى السنتين الرابعة والخامسة ، وعلى هذا الأساس رسمت اللجنة منهجا متدرجا للتعبير فى الفرق الدراسية الخمس وهو منهج يمثل اتجاها سليما فى مجموعه ، وإن كان يبدو فيه الميل إلى الفصل أكثر مما ينبغى بين أنواع الانشاء فى مختلف الفرق . فقد اختصت السنة الثالثة مثلا دون السنتين الأولى والثانية بأعداد تأييد أو معارضة لفكرة توضع موضع المناظرة السهلة ، وبوصف منظر طبيعى من مناظر البيئة القريبة ، وببسط بعض الموضوعات أو إيجازها . كما اختصت السنتان والرابعة والخامسة بتمرين الخيال فى موضوعات وصفية طريفة وبتصوير بعض نواحى البطولة

التى تعرض فى المطالعات التاريخية وفى الأحداث الهامة . والواقع أن التمييز بين الفرق المختلفة لا يكون فى نوع الموضوعات، بقدر ما يكون فى تمشيها مع خبرة التلاميذ والمستوى الذى يطلب فى الكتابة .

ومع ذلك فان اللجنة قد أبانت أنها لا تقصد أن يلتزم المدرسون المنهج الذى اقترحته بل يجدر بالمدرس أن يتعرف ميول التلاميذ ، وأن يتحين الفرص لملاحظة الفروق الفردية بينهم وتشجيع التعبير الذاتى عند كل منهم حتى إذا آنس فى بعضهم اتجاها إلى الابتكار الفنى فى ناحية ما شجع هذا الاتجاه وعمل على تثبيته .

وبهذا التحفظ أرى أن يطلب إلى اللجنة وضع اقتراحاتها فيما يتعلق بالانشاء الشفهى والكتابى على صورة توجيهات تثبت فى صدر منهج اللغة العربية .

وألاحظ أن الاستمرار على استعمال لفظ « التعبير بدلا من الانشاء » لا محل له فى المرحلة الثانوية اذ أن اسم « الانشاء » أدل على نوع النشاط المطلوب فى هذه المرحلة فضلا عن أنه الاسم المألوف .

هذا وقد أشارت اللجنة الى أنه لا داعى لتقييد المدرس بعـــدد من الموضوعات تكتب فى أثناء العام بل تطلق الحرية للمدرسين للنهوض، كما اقترحت ألا يلزم المدرس بتصحيح كل الكراسات فى كل مرة ولكنه يصحح فى كل مرة عددا من الكراسات على نظام يكفل أن يرى كتابة كل تلميذ مرات تكفى للارشاد والتقويم . ويراعى فى اصلاح الموضوعات ما يأتى :

١ ــ أن يجمع المدرس الأخطاء الشائعة لينتهز الفرصة لارشاد التلاميذ اليها فى الحصص الملائمة .

٢ ــ أن يلاحظ كتابة التلاميذ من حيث معانيها وترتيبها .

٣ ــ ألا يتدخل فى كل شىء ، فاذا سار التلميـــذ بطريقة طبيعية فلا داعى لهذا التدخل .

وقد لاحظ رجال اللغة العربية على كل هذا ما سبق أن لاحظوه على

مثله فى مرحلة التعليم الابتدائى ، وقرر المؤتمر مثل ماقوره هناك .

وأخيرا أشارت اللجنة الى أنه من اليسير أن تكون اللغة العربية لسان المعلم والتلميذ فى المدارس الثانوية ، فان التلميذ فى هذه المرحلة قد يصل الى قسط من التحصيل اللغوى يستطيع معه أن يفهم حديثاً عربيا ، وأن يتابع دروسه بالعربية الصحيحة اذا سار المعلمون معه على هذا المنهج ، وأرى أن تدمج هذه الملاحظة فى التوجيهات .

النحو والصرف

وجعلت اللجنة عماد دراسة النحو فى هذه المرحلة التدريب على ما درس بالمدارس الابتدائية ، مضافا اليه بقية مالا بد منه من الأبواب الرئيسية الضرورية لفهم الكلام العربى ، ولمساعدة اللسان على تجنب اللحن فى التعبير، وقسم المنهج الى سنتين وحدد القدر الضرورى الذى يطالب به التلاميذ من التحليل والاعراب وقد روعى فى رسم هذه السياسة الابقاء على جوهر التقسيم والمصطلحات النحوية القديمة إلى أن تبت المصادر ذات الشأن فيما أثير عليهما من اعتراض واقترح بشأنهما من إصلاح وتجديد .

وأرجئت دراسة الصرف إلى السنة الثالثة ، وجعل هدفها توجيه التلاميذ إلى وسائل تنمية اللغة ، وتمرينهم على الرجوع إلى المعاجم اللغوية وكيفية استعمالها ، مع دراسة النواحى الضرورية من التصريف على أساس الأمثلة وتفهمها .

ورأت اللجنة أن يصحح التطبيق على السبورة تخفيفا عن المدرسين ، ويصحح كل تلميذ كراسه حسب ما صحح الأستاذ ، ثم يختار المدرس بعض الكراسات لمراجعتها ومعرفة مدى فهم التلاميذ للقواعد واستفادتهم منها ، على أن يكون اختيار الكراسات دوريا ، بحيث يشرف الأستاذ أثناء السنة على نماذج من كل تلميذ .

وقد أخذ بعض رجال اللغة العربية على المنهج المقترح عدم تقرير النحو للسنتين الرابعة والخامسة ، وطول المنهج فى بعض السنوات الدراسية، وعدم

إمكان إصلاح التطبيقات الإيجادية بالطريقة التى اقترحتها اللجنة . ولكن المؤتمر وافق على اقتراحات اللجنة مادة وطريقة .

وأرى أن مبدأ إرجاء الصرف إلى السنة الثالثة محل نظر . فليس من المصلحة أن يؤجل إلى تلك السنة تمرين لتلاميذ عمليا على استعمال المعاجم اللغوية المبسطة ، مع أن المؤتمر أشار فى توصياته العامة إلى ضرورة صرف معاجم ملائمة للتلاميذ من السنة الرابعة الابتـــدائية . وليس من المصلحة كذلك ألا يعلم التلميذ صياغة المصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما شابه ذلك إلا فى السنة الثالثة الثانوية . كما أنه ليس من المصلحة تكديس كل قواعد الصرف فى سنة واحدة ، بل الأفضل توزيعها على السنتين الأولى والثانية مع قواد النحو .

ومما يدعو إلى ذلك ، النظام الجديد الذى وضعته الوزارة للتعليم الثانوى إذ جعلت السنتين الاولى والثانية مرحلة قائمة بذاتها تنتهى بامتحان شهادة الدراسة المتوسطة . فمن الواجب فى هذه الحالة أن يوضع لهذه المرحلة منهج كامل فى النحو والصرف يدرب التلميذ على الضرورى للحاجات العملية من قواعدها . وعندى أن هذه القواعد يجب أن تنتهى دراستها فى المرحـــلة المتوسطة وأن المرحلة الثانوية الثانية يجب أن لا تشغل بميكانيكية اللغة ، بل تخصص للأدب والنقد الأدبى والانشاء . على أنه إذا رؤى أن هنالك ضرورة تقضى بمتابعة دراسة النحو والصرف فى السنة الثالثة ، فنى هذه الحالة يوضع لهما منهج يتابع تدريب التلاميذ فيه على القواعد الجديدة التى درسوها فى السنتين الأولى والثانية مع التوسع فيها ، كما تقترح اللجنة اتباعه فى منهج هاتين السنتين بالنسبة لمنهج المرحلة الابتدائية .

لهذا اقترح أن يطلب إلى اللجنة الدائمة إعادة النظـــر فى منهج النحو والصرف .

الأملاء والخط

ولم تشر اللجنة إلى الأملاء باعتباره فرعا من فروع اللغة فى المرحلة

الثانوية . ولكن ما أثبتته الملاحظة من ضعف مستوى الطلبة فى هذه الناحية ضعفا شديدا فى السنين الأخيرة وكثرة وقوع طلبة الثقافة العامة والتوجيهية فى أبسط أخطاء الهجاء ، يبرر تخصيص بعض الوقت فى المرحلة المتوسطة (السنتين الأولى والثانية) لتدريب التلاميذ على قواعد الهجاء بالطريقة التى تراها اللجنة كفيلة لعلاج هذه الحالة

ولعل هذا ينطبق أيضا على الخط ، إذ قد لوحظ هبوط مستوى جودته مع أن إتقان الكتابة من الأهداف الهامة للتعليم العام .

٨ — هذا وقد أضاف مؤتمر رجال اللغة العربية إلى ملاحظاته وقراراته بشأن اقتراحات اللجنة طائفة من التوصيات العامة أراها جديرة بالاحالة على اللجنة الدائمة للنظر فيها بما تستحقه من العناية ، وهى :

١ — تقرير مقادير كافية وملائمة من القرآن الكريم بين ما يقرر لكل فرقة من النصوص والمحفوظات .

٢ — أن يصرف للتلاميذ من السنة الرابعة الابتدائية معاجم ملائمة كمختار الصحاح ، إلى أن يؤلف معجم عصرى يلائم التلاميذ

٣ — تقرير كتب ملائمة ليطالعها الطلاب فى العطلات الصيفية ، مع امتحانهم فيها أول العام الدراسى وإجازة المتفوقين منهم

٤ — العناية بمكتبات المدارس ، وإعداد أمكنة خاصة تتسع لأكبر فصل بالمدرسة ، وتزويدها بالمراجع اللازمة للمدرسين وبالمجلات والكتب الملائمة للتلاميذ . مع مراعاة التجديد فى هذه المكتبات حتى تظل مسايرة للعصر فى الانتاج العلمى والأدبى .

٥ — المبادرة بتأليف كتب فى المناهج الجديدة حتى يفرغ المدرسون للتدريس ، ولا يرهقون به وبالتأليف معا .

٦ — تلوين الامتحانات العامة بلون جديد يتناسب مع المناهج الجديدة ويكون فيه توجيه للأساتذة والتلاميذ ، حتى تكون الامتحانات من حوافز السير الى الأمام دائما .

٧ – زيادة حصص اللغة العربية فى الخطة الجديدة لتظفر من الوقت بما يكمل حسن دراستها .

٨ ـ ضم حصة الأناشيد « البحتة » الى حصة اللغة العربية . وبذلك تعتبر حصص الأناشيد والمحفوظات حصتين . فاذا حضر مدرس الأناشيد الفنى اشترك مع مدرس اللغة العربية فى حصة من الحصص المقررة .

ومع إحالة هذه التوصيات الى اللجنة الدائمة للغة العربية ، أرى أن التوصية الثالثة تدعو إلى إثارة البحث فى نظام المسابقات لتلاميذ السنة التوجيهية ، وهل حقق الغرض المقصود منه بوضعه الحالى أم الأفضل العودة إلى نظام المطالعات الصيفية فى اللغات مع الامتحان أول العام فيما طالعه التلاميذ فى الأجازة ومنح المتفوقين جوائز وأقترح تأليف لجنة تضم حضرات المدير العام للتعليم الثانوى والمدير العام للثقافة العامة والمراقب العام لتعليم البنات والمراقب العام للامتحانات والمراقب العام للبحوث الفنية والمشروعات وعمداء مفتشى اللغة العربية واللغة الانجليزية واللغة الفرنسية والمواد الاجتماعية والرياضة والعلوم والرسم والأستاذ الدمرداش بك محمد، لبحث هذا الموضوع

كذلك أرى إحالة الاقتراح الثامن الى حضرة عميد مفتشى الموسيقى لأبداء الرأى فيه .

كلمة ختامية

هذا وأود قبل ختام هذه المذكرة أن أعرب عن تقديرى العظيم لما بذله رجال اللغة العربية من عناية فى دراسة مقترحات اللجنة ولروح الجد والاهتمام وتوخى المصلحة العامة التى بدت فى مناقشات مؤتمرهم . وأنوه بصفة خاصة بالمجهود الذى بذله حضرتا الأستاذين محمد على مصطفى ومنصور سليمان فى إعداد العدة للمؤتمر والاشراف على عقده وإدارة مناقشاته بحكمة وكياسة كان لهما ولا شك أكبر الأثر فى نجاحه والوصول به إلى النتائج الطيبة المتزنة التى انتهت اليها قراراته .

المستشار الفنى

اسماعيل القبانى

مع صعاليك العرب

للأستاذ على النجدى ناصف

يفسر اللغويون التصعلك بالفقر ، ويستدلون له بقول حاتم :

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى   فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بأوا على ذى قرابة   غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وهو استدلال صحيح ، يضرب فى كلا البيتين بعرق ، فعرق فى المطابقة بين التصعلك والغنى فى البيت الأول ؛ لأن المطابقة بينهما على هذه الصورة تعنى أنهما ضدان . وعرق فى وضع كلمة الفقر بمكان كلمة التصعلك فى البيت الثانى ، وإن كان النسق ليطلب هذه أشد مما يطلب تلك ، وإذا يكون التصعلك والفقر مترادفين .

وأكبر ظنى أن حاتما كان يريد الفقر وحده ، أو التصعلك وحده فى كلا البيتين ، لكن حكم الوزن والقافية حال دون ما يريد ، وأبى إلا أن يأتى بالتصعلك فى البيت الأول ، وبالفقر فى البيت الآخر . وليس مع حكم الوزن والقافية حكم ، ولا مع إرادتهما إرادة .

وإذا كان التصعلك هو الفقر ، فالصعاليك هم الفقراء ، أو بعبارة صاحب اللسان : هم الفقراء لا مال لهم ولا اعتماد ، فالتصعلك أصل الصعاليك ، هو مأخذ اللفظة ومادتها . وفى الحديث الشريف أن الرسول عليه السلام كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ، أى يستنصر بفقرائهم[1] .

غير أن كتب الأدب والأخبار لا تطلق اسم الصعاليك على الفقراء

(١) أمالى القالى ٢ : ٢٨٦ .

ما كانوا ، كما تصنع معاجم اللغة ، وكما يدل عليه حديث الرسول عليه السلام ، ولكنها تطلقه على طائفة منهم متميزة ، كانت تتعاطى التلصص والسطو ، وتعتمد عليهما فى ابتغاء الرزق ، وسد حاجات العيش .

وقد يبدو أن معنى الصعاليك فى تفسير المعاجم ، واستعمال الرسول — قاصر عن معناه كما توحى به الرواية والوصف فى كتب الأدب والأخبار وإن كان اللفظ لقديما .

والحق أنا إذا نظرنا إليه ، وقد انفصل من أصله ، واستقل عنه بالأداء والتعبير — رأينا القصور واقعا ، لاشك فيه ولا مراء . وإذا نظرنا إليه وإلى أصله معه لم نر ثمة شيئا من قصور .

فالفقر رأس البؤس والشقاء ، ومصنع البائسين والأشقياء ، يخرج من هؤلاء وهؤلاء أشتاتا متتابعة ، وألواناً متخالفة ، ثم يدفع كلا إلى الطريق التى تلائمه ، وتقتضيها طبيعة مزاجه ، وخصائص شخصه ، وأحوال بيئته .

فهؤلاء أرذال متبطلون ، سلاحهم التهديد والوعيد فى أغلب الأمر ، يخيفون به الأثرياء ، ليؤدوا لهم المال عن يد وهم صاغرون ، ويسمون اليوم (بالبلطجية) . وأولئك سراق متلصصون ، يسطون بالناس ، ويغلبونهم على أموالهم قهرا واقتدارا . ويسمون فى كتب الأدب والأخبار باسم الصعاليك اعتباراً للأصل الذى صار بهم إلى ماهم فيه ، ويسمون فى كتب اللغة باسم الذؤبان ، إجراء لهم مجرى ذؤبان الوحش فى الدهاء والخبث . وآخرون عفاة مستجدون ، ينتابون أهل السماحة والبذل ، ابتغاء القرى والمعروف ، ويسمون باسم الهلاك ، وهو اسم يدل على الضياع والإجداب .

قال جميل :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟
أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها ... وأهلى قريب موسعون ذوو فضل

وكانت حياة الصعاليك شقية جاهدة ، تبهظها الحاجة ، وتحف بها المكاره والخطوب . وما ظنك بمن يكسب الرزق من العدوان على الناس ، والاصابة

مما يملكون ، فى أرض لا سطوة فيها لسلطان ولا حكم لقانون ؟

إن الناس ليتسامعون به ، فينذرون دمه ، ويشتدون فى طلبه ، عسى أن يظفروا به فيقتلوه ، ويستريحوا منه . وإنه ليعلم ذلك منهم ، ولكنه لا يقعد عن الخروج إليهم كلما بدا له ، يطلب غفلتهم فى شوق وإصرار ، لا يدرى متى تسنح له فيثب وثبته ؟ ولا يدرى إذا هى سنحت أمخفق فيها فمدركه الموت أو واقع به الأسر ، أم مصيب نجحا فهارب إلى جبل يعتصم به ، أو مغارة يستخفى فيها ، أم منطلق كالظليم بين الشعاب المخوفة ، والمسالك المجهولة ؟

وقد لا تسنح له الغفلة على ما قدر ، فيطوى ليالى وأياما وحيدا مشرداً ، أو فى رفقة لا يغنى بعضهم عن بعض شيئا فى هذه المضلة المهلكة ، لا يرى فيها غير الجدب والوحشة والعبوس.

نهار واجم محزون ، يطبق عليه الصمت والسكون ، ويثقله الاكتئاب والإطراق إلا خفقة نسيم ، أو ثورة ريح عاصف . وليل نكد مخوف ، ثقيل الوطأة ، صعب المراس ، طويل الذيول تضطرب فيه الهوام ، وتسرب الوحوش ، بعد ما طال عليها الهجوع ، وأمضها الجوع والترقب ، ويتوفز الحس ، ويتنبه الخيال ، وتكثر الوساوس والأوهام ، فإذا عالم مهول ، يموج بالأشباح والأطياف .

ولهذا أكثروا فى شعرهم من وصف الضنك ، وشدة الزمان ، وأفاعيل الحرمان ، وافتخروا بالجلد والجرأة على ركوب الأهوال . قال الشنفرى فى لاميته المشهورة :

إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمى ... تطاير منه قادح ومفلل[1]
أديم مطال الجوع حتى أميته ... وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
وأستف ترب الأرض كى لا يرى له ... علىّ من الطول امرؤ متطول
ولولا اجتناب الذام لم يبق مشرب ... يعاش به إلا لدى ومأكل

(١) الامعز : المكان الصلب ، تكثر فيه الحجارة والحصى . الصوان : الحجارة الشديدة الصلبة . المفلل : المتناثر .

ولكن نفسا حرة لا تقيم بى … على الضيم إلا ريثما أتحول

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت … خيوطة مارى تغار وتفتل [١]

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا … أزل تهاداه التنائف أطحل [٢]

غدا طاويا يعارض الريح هافيا … يخوت بأذناب الشعاب ويعسل [٣]

فلما لواه القوت من حيث أمه … دعا فأجابته نظائر نحل

مهلهلة شيب الوجوه كأنها … قداح بكفى ياسر تتقلقل

أو الخشرم المبعوث حثحث دبره … محابيض رداهن سام معسل [٤]

مهرتة فوه كأن شدوقها … شقوق العصى كالحات وبسل [٥]

فضج وضجت بالبراح كأنها … وإياه نوح فوق علياء ثكل

وأغضى وأغضت واتسى واتست به … أرامل عزاها وعزته أرمل

شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت … وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل

وفاء وفاءت بادرات وكلها … على نكظ مما يكاتم مجمل [٦]

وقال تأبط شرا يأسى لطيف حبيبته، أن سرى إليه لا يبالى جهد الطريق وأهوال السرى، ولا يخشى أذى الحيات تدب لديه هنا وهناك :

ياعيد مالك من شوق وإيراق … ومر طيف على الأهوال طراق [٧]

يسرى على الأين والحيات محتفيا … نفسى فداؤك من سار على ساق

---

(١) الحوايا : الامعاء ، جمع حوية . الخيوطة : الخيوط . المارى : الكساء الصغير له خطوط مرسلة . تغار : يشد فتلها .

(٢) الازل : السريع ، أو الخفيف الوركين . الاطحل : الذى لونه الطحلة ، وهى اللون بين الغبرة والسواد ، ببياض قليل .

(٣) يخوت : خات البازى : انقض على الصيد . يعسل ، من عسل الذئب أو الفرس، أى اضطرب فى عدوه وهز رأسه .

(٤) الخشرم . جماعة النحل ، والواحدة خشرمة . حثحث . حرك ، أو حض . الدبر ، جماعة النحل ، والواحدة دبرة . المحابيض . الميدان يطرد بها النحل ، جمع محبض كمنبر . رادهن . أنزلهن .

(٥) مهرتة . واسعة الاشداق

(٦) النكظ . الجهد

(٧) العيد . ما يعتاد الانسان من هم ، أو مرض ، أو حزن ونحوه

وأكثر الصعاليك فى شعرهم أيضا من ذكر الغنى والفقر ، يمتدحون الغنى ويحضون على طلبه ، ويذمون الفقر ، وينهون عن الاستسلام له والرضا بعيشه وربما مضوا فى ذلك فاستحبوا الموت عليه . وبحسبنا فى هذا المقام قول عروة بن الورد :

قالت تماضر إذ رأت مالى خوى　　وجفا الأقارب فالفؤاد قريح :
مالى رأيتك فى الندى منكساً　　وصبا كأنك فى الندى نطيح [1]
خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة　　إن القعود مع العيال قبيح
المال فيه مهابة وتجلة　　والفقر فيه مذلة وفضوح

وقوله :

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح　　عليه ولم تعطف عليه أقاربه [2]
فللموت خير للغنى من حياته　　فقيراً ومن مولى تدب عقاربه
وسائلة أين الرحيل وسائل　　ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه؟
مذاهبه أن الفجاج عريضة　　إذا ضن عنه بالفعال أقاربه [3]

وقد سبق جمهور القدماء من أئمة الأدب ورواة الشعر إلى إدراك هذه الحقائق واصطناعها فى النقد والتمييز ، فرجحوا أن تكون هذه الأبيات لتأبط شراً .

وقربة أقوام جعلت عصامها　　على كاهل منى ذلول مرحل [4]
وواد كجوف العير قفر قطعته　　به الذئب يعوى كالخليع المعيل [5]

---

(١) الوصب . المريض
(٢) السوام . المال الراعى
(٣) الفعال . الكرم ؛ والفعل الحسن
(٤) العصام . حبل يشد فتحمل القربة به
(٥) العير . الحمار ، وغلب على الوحشى . وشبه الوادى القفر بجوفه ، لقلة جدواهما . الخليع . الذى تبرأ منه أهله خبثا . وكان أهل الجاهلية إذا قال قائل منهم . هذا ابنى قد خلعته لم يؤخذ بعد بجريرته المعيل . الكثير العيال .

فقلت له لما عوى : إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

ونفوا أن تكون لامرىء القيس ، بما فيها من علائم النصب والحرمان ، ودلائل المخاطرة والجرأة على ركوب الأهوال .

ولم تكن حياة البادية فى جملتها أطيب من حياة الصعاليك مذاقا ، أو ألين جانبا . فما بال الصعاليك وحدهم قد ضاقوا بها وتمردوا عليها، وجهدوا فى تغييرها لايخشون موتا ، ولا يبالون مكروها ؟ مرجع ذلك إلى أنهم لم يكونوا فقراء فحسب ، ولكن أولى حمية وعزم وجلد ، وأولى قوة وبأس شديد أيضا . وكانت لهم مع ذلك مواهب بارعة ومزايا نادرة . فطبيعى أن يكون رأيهم فى الحياة وفهمهم لها على خلاف مايرى الآخرون ويفهمون

رأوها وسيلة يتوسل بها ، لاغاية تطلب لنفسها ، ويوقف عليها ، وسيلة لبر الآهل ، وقرى الضيف وحماية الجار ، وإغاثة اللهفان. وفهموها عزة وإباء ، وكرامة وجلادا ، فما ضعفوا ، ولااستكانوا ، وما لانت لهم قناة ، ولا غلبهم يأس . قال عروة بن الورد يذكر نهجه فى الحياة ، ويصف أسلوبه فى المعاملة والسلوك :

فلا أترك الاخوان ماعشت للردى كما أنه لايترك الماء شاربه
ولا يستضام الدهر جارى ولاأرى كمن بات تسرى للصديق عقاربه
وإن جارتى ألوت رياح بيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه(١)

وقال الشنفرى فيما يشبه ذلك :

وأعدم أحيانا وأغنى وإنما ينال الغنى ذو البعدة المتبذل (٢)
فلا جزع لخلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أتخيل(٣)
ولاتزدهى الأجهال حلمى ولاأرى سئولا بأعقاب الاحاديث أنمل(٤)

(١) ألوت ببيتها ، ذهبت به ، وألقته.
(٢) ذوا البعدة ، ذو الرأى والحزم . المتبذل ، من يعمل عمل نفسه .
(٣) المتكشف ، المفتضح ، أتخيل ، أتكبر .
(٤) تزدهى ، تستخف ، نمل كنصر وعلم وأنمل ، نم

مذهب فى الحياة هدوا إليه ، فآمنوا به واتبعوه ، ودعوا اليه ، إذ كانوا يمتدحون أصحابه ، وينالون بالذم والتشهير كل من يحيدعنه ، أو يتخلف فيه.

قال عروة يصف الصعلوك الحميد ويثنى عليه ، ويذكر الصعلوك الذميم وينال منه :

لحى الله صعلوكا إذا جن ليله   مصافى المشاش آلفا كل مجزر(١)
يعد الغنى من نفسه كل ليلة   أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح ناعسا   يحت الحصى عن جنبه المتعفر(٢)
يعين نساء الحى ما يستعنه   ويمسى طليحا كالبعير المحسر(٣)
ولكن صعلوكا صفيحة وجهه   كضوء شهاب القابس المتنور(٤)
مطلا على أعدائه يزجرونه   بساحتهم زجر المنيح المشهر(٥)
إذا بعدوا لايامنون اقترابه   تشوف أهل الغائب المنتظر(٦)
فذلك إن يلق المنية يلقها   حميدا وإن يستغن يوما فأجدر

وما كان التصعلك على مايعرضه عروة فى صورته المثالية ليتهيأ لكل طامح اليه ، متعلق القلب به . هيهات ، فلا بد لصاحبه من صفات معينة فى جسمه ونفسه وذهنه ، بعضها عن طبيعة واستعداد ، وبعضها عن رياضة واعتياد .

لابد أن يكون ندبا أيدا خفيفا ، لايثقله امتلاء ، ولا يبطىء به استرخاء قانعا يقظا ، يكفيه من الطعام كسرة ، ومن النوم غفوة ، سريع العدو ،

(١) المصافى . الصادق الاخاء . المشاش . الخدم .
(٢) يحت . يزيل ، ويسقط .
(٣) الطليح . التعب المعى . المحسر . المؤذى .
(٤) صفيحة الوجه . بشرة جلده . المتنور . طالب النار من بعيد .
(٥) المنيح . قدح من قداح الميسر التى لاحظوظ لها ، وأنما تكثر بها القداح ، فهى تجال أبدا وتزجر المشهر . المظهر فى شنعه .
(٦) المتنظر . المرتقب رجوعه . وفى حماسة البحترى: ١٢٧ ، وأمالى القالى . ١٨٢ من الذيل والنوادر مقطعتان فى معنى مقطعة عروة التى نرويها هنا ، فارجع اليها إن شئت

خبيرا بفجاج الصحراء ، عارفا بمنازل القبائل ومواقع المياه ، حتى لا يهلك ضلالا ، أو ثأرا ، أو ظمأ .

ويحفظ لنا أدب الصعاليك صورا لفريق منهم ، نبدأ من بينها بهذه الصورة الشعرية ، يعرضها أبو كبير الهذلى لصعلوك من أعجب الصعاليك ، وأبعدهم شهرة ، وهو تأبط شرا ، ثم نتبعها صورا أخرى قصصية بعضها له ، وبعضها لغيره .

ويروون أن سبب اهتمام أبى كبير به ووصفه اياه سرحة سرحاها معا للسطو والاستلاب ، فقد كان أبو كبير زوجا لأمه ، ولم يكن الفتى بهذا راضيا ، وأدرك أبو كبير أن الفتى ساخط عليه ، متربص به ، فأفضى بالأمر الى أمه ، وذكر لها أنه لا يأمنه على نفسه ، وهو لهذا سيهجرها ، ماله من ذلك بد .

فيقال انها أشارت عليه أن يحتال له ، ويقتله ، فدعاه أبو كبير للغزو ، ولبي الفتى غير محجم ولا متردد ، فخرجا ليلا . ولما كان مساء الغد أبصرا نارا ، وكان أبو كبير يعرف أنها لبعض أعداء تأبط شرا ، فوجهه اليها ، فاذا عليها رجلان من ألص العرب ، فوثبا اليه يريدان قتله . فعاجل الفتى أدناهما منه فقتله ، وعطف على الآخر فقتله كذلك . وحمل طعامهما الى أبى كبير ، فأخذه الفزع والعجب معا ، وما زال بالفتى يسأله : مافعل حتى أخبره . فلما رجعا قطع أبو كبير صلته بأمه ، وأنشأ كلمته هذه يقول فيها :

ولقد سريت على الظلام بمغشم   جلد من الفتيان غير مثقل (١)
ممن حملن به وهن عواقد   حبك النطاق فشب غير مهبل(٢)

(١) المغشم : الشجاع الذى يركب رأسه فلا يثنيه شىء عما يريد

(٢) الحبك جمع حباك ، وهو مايشد به الوسط . النطاق : شقة تلبسها المرأة ، وتشد وسطها ، فترسل الاعلى على الاسفل ، والاسفل ينجر على الارض ، ليس لها حجزة ، وهى موضع التكة من السروال ، وليس لها نيفق ، وهو الموضع المتسع من السروال . المهبل : المدعو عليه بالهبل ، وهو أن تثكله أمه

ومبرإ من كل غبر حيضة وإفساد مرضعة وداء مغيل (١)
حملت به فى ليلة مزءودة كرها وعقد نطاقها لم يحلل (٢)
فأتت به حوش الفؤاد مبطنا سهدا اذا مانام ليل الهوجل (٣)
فاذا نبذت له الحصاة رأيته ينز ولوقعتها طمور الأخيل (٤)
واذا يهب من المنام رأيته كرتوب كعب الساق ليس بزمل (٥)
ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق طى المحمل
وإذا رميت به الفجاج رأيته يهوى مخارمها هوى الأجدل (٦)
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل
صعب الكريهة لايرام جنابه ماضى العزيمة كالحسام المقصل
يحمى الصحاب إذا تكون عظيمة وإذا هم نزلوا فمأوى العيل (٧)

ويذكرون أن تأبط شراً كان فى أكثر الأمر يخرج وحده للغارة والسطو وكان إذا لقى الرجل فقال له : أنا تأبط شراً انخلع قلبه ، وتبددت نفسه ، وألقى اليه ما يريد ، وقنع بالفرار مغنما (٨)

---

(١) مبرأ ، معطوف على مفشم . غبر الحيضة : بقاياها . المغيل : المرأة ترضع ولدها وهى حامل .

(٢) المزءودة المذءورة . يريد أنها حملته غير راغبة فى الفراش ولا مستعدة له . وكان الرجل منهم يغضب امرأته ، ويعجلها إلى الفراش ، لتغلب خصائصه على خصائصها ، ويخرج الولد نازعا اليه فيما يزعمون

(٣) حوش الفؤاد : حديده المبطن : الضامر البطن . السهد : القليل النوم . الهوجل البطىء الثقيل .

(٤) الطمور : الوثب إلي أسفل أو إلى أعلى . الاخيل : طائر مشئوم ، أو الشاهين وهو طائر طويل الجناحين من جنس الصقر ، أو الصرد : وهو طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير .

(٥) الرتوب : الانتصاب ، أو الثبات لاحركة معه . الزمل : الضعيف الجبان .

(٦) المخارم جمع مخرم ، وهو منقطع أنف الجبل ، ونصبها على نزع الخافض . الاجدل : الصقر

(٧) العيل : الفقراء ، جمع عائل

(٨) الاغانى : ٨ : ٢١٠ طبعة الساسي

وقد يبدو هذا غير عجيب ، فمثله أو قريب منه يعزى لعهدنا إلى بعض متلصصة الريف . والحق أن الفرق بين الأمرين كالفرق بين البيئتين ، وإنه لعظيم .

لقد كانت العرب أمة بادية ، لا حكومة لها ولا قانون ، وكان معول الناس على أنفسهم فى الحماية والقصاص ورد الحقوق ، ولكل بحكم هذه الضرورة القاهرة عدة من سلاح ، وعلم بالمثاقفة ، ورياضة على الجلاد والاحتمال . ولا كذلك أهل الريف فى كل أولئك .

ومرد الأمر فى هيبة من يهابون من المتلصصة والمجرمين الى الفرق بينهم وبينه فى الاهبة والطبع . هم عزل أو كالعزل ، وهو مسلح أو تام السلاح . وهم متحرجون ذوو أناة وحكمة ، يطيعون السلطان ويحترمون القانون،وهو مستهتر أحمق ، لا يطيع إلا نفسه ، ولا يتبع إلا هواه .

ولو أنهم ذكروا أنفسهم ، وأجمعوا أمرهم ، ونكبوا جانبا عن الاثرة والتخاذل لم تبق فيهم من ذلك باقية أو تكاد . ومهما يكن من شيء فقد كان تأبط شراً على ما رأيت فيما يقول الرواة .

وهم يذكرون كذلك أن بنى لحيان ظفروا به وهو يجنى عسلا فى بعض الجبال ، فأخذوا عليه الطريق وطلبوا اليه أن يسلم نفسه أو يقتلوه ، فلم يجبهم إلى ما طلبوا ، وأخذ العسل فصبه على الصخر ، وأسلم جسمه لمسيله عليه ، فانزلق يهوى إلى الارض ، ولكن من جانب غير الذى رصدوا فيه ، ثم انطلق كالسهم ، فكان بينه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام [1] . وقال فى ذلك :

إذا المرء لم يحتل وقدجد جده ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا ... به الخطب إلا وهو للقصد مبصر
فذاك قريع الدهر ما عاش حول ... اذا سد منه منخر جاش منخر [2]

(١) الحماسة لابى تمام : ١ ٢٦٠

(٢) جاش منخر . تحرك فيه النفس وتردد . يريد انه كلما ضيق الخناق عليه فى وجه، وجد له فى آخر منفذا

أقول للحيـان وقد صفرت لهم ... وطابى ويومى ضيق الجحر معور [١]
هما خطتـا إما إسـار ومنـة ... وإما دم والقتـل بالحر أجدر [٢]
وأخرى أصادى النفس عنها وإنها ... لمورد حزم إن فعلت ومصدر [٣]
فرشت لها صدرى فزل عن الصفا ... به جؤجؤ عبل ومتن مخصر [٤]
فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا ... به كدحة والموت خزيان ينظر [٥]
فأبت إلى فهم وماكدت آئبا ... وكم مثلها فارقتها وهى تصفر [٦]

ويضربون المثل بالشنفرى فى سرعة العدو ، فيقولون أسرع من الشنفرى وقد ذرع خطوه يوم مقتله ، فكان ذرع الوثبة الأولى إحدى وعشرين خطوة ، والثانية سبع عشرة ، والثالثة خمس عشرة . وكان [٧] . تأبط شراً مثله فى ذلك أو يكاد . فكان إذا جاع فاستسمن ظبيا يعدو وراءه فيدركه ، ويتخذ منه طعاماً [٨] .

وكان السليك بين السلكة- أعرف الناس بالصحراء، وأهداهم فى مسالكها فكان فى الشتاء يخزن الماء فى بيض النعام ويدفنه فى الرمل ،وإذا جاء الصيف وبدأ الاغارة واحتاج إلى الماء - يجىء فيقف على البيضة ، ينبش عنها ، فيستخرجها ، ويشرب مافيها .

---

(١) الوطاب جمع وطب ، وهو سقاء اللبن . ويكنون بصفر الوطاب عن الموت أو القتل فكأنما يريد أنه كاد يقع فى أيدى أعدائه ، معور : متوقع شره من أمور الفارس ، أى بدا فيه موضع خلل للطعن .

(٢) خطتا ، حذف النون الاضافة ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه باما .

(٣) أصادى : أعارض ، أو أداجى .

(٤) جؤجؤ عبل : صدر ضخم

(٥) يكدح : يخدش

(٦) فهم : قبيلة الشاعر ، والضمير فى مثلها للحيان ، وكنى بالصفير عن الاسف .

(٧) خزانة الادب : ٣ : ٢١٤ ، ٣١٧

(٨) خزانة الأدب : ١ : ١٢٣ .

وأغار الشنفرى وتأبط شراً وعمرو بن براق على بجيلة مرة ، فاذا القوم قد أعدوا لهم رصدا على الماء ، ولم يكن لهم منه بد ، فمضى الشنفرى فشرب ولم يعرض له القوم بسوء ، وفعل ابن براق مثله ، ولم يعرض له القوم بسوء أيضاً . فأدرك تأبط شراً أنهم يريدونه ، ولا يريدون أحداً من صاحبيه فقال للشنفرى : سأرد الماء ، وإذا رأيت القوم يأسروننى فانطلق كأنك تطلب الهرب ، لا يعنيك من أمرى شىء ، ثم ائت هذا الجبل فكن فى رأسه وإذا سمعتنى أقول : خذوا ، خذوا ، فتعال فأطلقنى . وقال لابن براق : سآمرك أن تستأسر لهم ، فأطمعهم فيك ، واحذر أن تمكنهم منك ، كن بحيث لا يصلون إليك ، ولا ييستيئسون منك .

ومضى تأبط شرا إلى الحوض ، فلما كرع فى الماء شد الرصد عليه ، فأخذوه ، وكتفوه بوتر ، وفعل صاحباه ما أمرهما به ، فقال لآسريه : هل لكم أن تياسرونا فى الفداء ، ويستأسر لكم ابن براق ؟ فقالوا : نعم . فقال : يابن براق . إن الشنفرى قد طار ، فهو الآن يصطلى نار بنى فلان . وقد علمت الذى بيننا وبين أهلك . فهل لك أن تستأسر ، ويياسرونا فى الفداء ؟ قال : حتى أروز نفسى شوطا أو شوطين ، وجعل يعدو فى قبل الجبل ثم يرجع فلما رأوا أنه قد أعيا طمعوا فيه ، ونادى تأبط شرا : خذوا ، خذوا . فغادروه وانطلقوا وراء ابن براق ، فجعل يدنو منهم مرة ، ويبعد أخرى ، حتى شغلوا به ، وأسرع الشنفرى إلى تأبط شرا ، فقطع وثاقه فلما رآه ابن براق كر إليه . فقال تأبط شرا : أعجبكم يا بجيلة عدو ابن براق ؟ أما والله لأعدون لكم عدوا أنسيكموه ، ثم انطلقوا لشأنهم[١] وكأنى بهم يضحكون ويستسخرون ، فيطيلون الضحك والاستسخار ، أن مكروا بعدوهم ، فأفلح مكرهم ، وأدركوا به مايبتغون وكان عروة بن الورد زعيم الصعاليك المرجى ، وسيدهم المطاع ، يفزعون إليه إذا اشتدت الحال ، وأجدب العيال ، فيلقون منه العطف وحسن الرعاية والتدبير . كان يميز الأقوياء القادرين عن العجزة

(١) خزانة الادب ـ ٣ : ٣١٤

والضعفاء، فيقود أولئك للغارة والسطو، ويتخذ لهؤلاء الكنف، وهى أسراب يحفرها، ويقيم الحظائر عليها، فيقيمون فيها حتى يرجع بالغنائم والأسلاب، فيفرقها فيهم، لكل منهم نصيب معلوم.

ولهذا سموه أباهم، فقالوا: أبو الصعاليك، وأضافوه اليهم فقالوا: عروة الصعاليك. ومن قوله يصف حال أهل الكنيف فى بعض المنازل، ويذكر كيف ندبهم للخروج معه وكيف رغبهم فيه:

قلت لقوم فى الكنيف تروحوا عشية بتنا عندما وان رزح[١]
تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم إلى مستراح من حمام مبرح
ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
لعلكم أن تصلحوا بعد ماأرى نبات العضاه الثائب المتروح[٢]
لتبلغ عذرا أو تصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
ينوءون بالأيدى وأفضل زادهم بقيــــة لحم من جزور مملح

وقد وصلت أنباء عروة إلى مسامع الخلفاء، فارتاحوا لها، وأعجبوا بها، وأكبروا صاحبها، إكبارهم لذوى المكانة الملحوظة والذكر الحميد.

قال معاوية: لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم. وقال عبد الملك مايسرنى أن أحدا من العرب ولدنى ممن لم يلدنى إلا عروة بن الورد لقوله:

إنى امرؤ عافى إنائى شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى بجسمى مس الحق والحق جاهد
أفرق جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

وقال أيضا: من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد. وكان المنصور يسأل عن أخباره ويعرف منها مالايعرف إلا القليل من الرواة.[٣]

على النجدى ناصف

---

(١) تروحوا سيروا وقت الرواح. ماوان. واد من منازل بنى عبس. رزح. لا يستطيعون النهوض هزالا (٢) المتروح. المكتسى ورقا، يرجو أن يصلحوا كما صلحت هذه العضاه وقد ثابت الى الايراق بعد اليبس (٣) الاغانى ٣ : ٧٣، ٧٤، ٨٣

فلسطين ...

الأستاذ محمد هارون الحلو
المدرس بمدرسة محمد على الأميرية

فدى لفلسطين الجريحة مهجتى ... ومالى وما أحرزته من جلائل
فنحن بنى العرب المناجيد إن دعا ... إلى المجد داع لم يجد غـير باذل
اذاما ركبنا البأس لم تر باطشا ... سوانا يسوق الرعب سوق الزلازل
نخوض غمار الحرب ان هى أرزمت ... علينا ومالت بالقنا والجحافل
نصرع فيهـا كل نفس خبيثة ... تأبت على الأحرار شم المعاقل
فلسطين يامهد العروبة والهدى ... وراية نور الحق بين المشاعل
أرى القوم قد حثوا الخطى وتوثبوا ... وما عركوا فتل الرماح النواهل
مضى الغرب يحميهم وينشر ظله ... عليهم ويغريهم بشتى الوسائل
أيحسب أنا نستنيم وفى الشرى ... أسود كفاح أيقظت كل غافل؟
وهل يسلم الشرق الزمام لعصبة ... ويغضى ، ودون الغاب كل مناضل؟
سنضرب فوق الهام ضربا تحدثت ... يد الدهر عنه أنه غـير هازل
نؤز به أزا حيازيم معتـد ... أثيم ونصمى كل غى مجادل
ومن غيرنا بين الوغى فارس الوغى ... إذا ماستبقنا فى قراع النوازل؟
رعينا لهم حق الجـوار لعلهم ... يصونون فيه عهد حر مجامل
ولكنهم قـد ضيعوه وأسرفوا ... وعادوا بلغو فى الحجاج وباطل
وماكان هـذا العهد الا سفاهة ... إذا لم يفوزوا من جناه بطائل
تنادوا على العصيان والشر والأذى ... بمنطق ذئب أو عزيم مماطل
فيا عبثا قد أسرفوا فى هوانهم ... فما هان غاب الأسد طعمة آكل
فلسطين ، ماأسناك ، أنت ألاقة ... من الروح بل ينبوع تلك الخمائل

ففجرك فجر العبقريين والضحى ضحى سنم عالى الذرا والنازل
ومشرق نور الوحى عندك نبعة تسلسل فى الدنيا كريم الشمائل
شعاع تسامى فى الورى بجلاله ورف سلاما فى الضحى والأصائل
سنغضت حتى يعلم الغرب أننا بنى الشرق لانغضى على بغى خاتل
وننهض بالعبء الذى أثقلت به ونطرح كيد القوم أسفل سافل
فلسطين هذا وعدنا الصدق فاسلمى فقد بات فى نجواك أكرم عاهل
وما ينثنى عن شرعة الحق أو بنى أخ لك الا ناصرا غير خاذل
وكل فتى أظماه للموت أنه تنسم ريا الخلد عذب المناهل
يصبح على يوم الجهاد لعله يوفى بوعد الله أجزل نائل

الفهرس